الشيخ يوسف الدجوي مفسراً

تأليف

د/ صلاح الدين طه الجيزاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين أجمعين وبعد ..

فهذه صفحات في سيرة ومسيرة وجهود علم من أعلام الأزهر الشريف برز في جوانب متعددة من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية .

ومن تلك العلوم والمعارف جانب التفسير ، فخصصت تلك الصفحات لإلقاء الضوء على هذا الجانب من حياة الشيخ الدجوي ، وقد جاء البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة .

ـ أما المقدمة : فذكرت فيها أهمية الموضوع ومنهج البحث وخطته .

ـ وأما الفصل الأول : فتناول حياة الشيخ ونشأته .

ـ والفصل الثاني : جاء تحت عنوان " الشيخ الدجوي مفسراً " واشتمل على ثلاثة مباحث :

أ ـ المبحث الأول : منهج الشيخ الدجوي في التفسير .

ب ـ المبحث الثاني : الجوانب الإبداعية في تفسير الدجوي .

ج ـ المبحث الثالث : معارك الشيخ الدجوي الفكرية .

ـ وأما الخاتمة : فذكرت فيها أهم النتائج .

هذا وإن هذا العمل عمل بشري لابد أن يكون فيه قصور ونقص وحسبي أني ألقيت الضوء ودللت على الخير .. وبالله التوفيق .

الفصل الأول
حياة الشيخ الدجوي وآثاره

ويشمل :

١ ــ نسبه ومولده .
٢ ــ نشأته .
٣ ــ حياته العلمية في رحاب الأزهر الشريف : طالبا وشيخاً.
٤ ــ شيوخه .
٥ ــ تلاميذه .
٦ ــ مؤلفاته .
٧ ــ دروسه في التفسير .
٨ ــ مذهبه الفقهي .
٩ ــ تنوع ثقافته وعلومه .
١٠ ــ مواقفه في الدفاع عن الإسلام .
١١ ــ عزلة الشيخ .
١٢ ــ وفاته .

الفصل الأول

حياة الشيخ يوسف الدجوي وآثاره

كتب الشيخ عبد الرافع الدجوي ــ رحمه الله ــ المحامي الشرعي وتلميذ الشيخ يوسف الدجوي وابن أخيه وصهره ومجاوره في المسكن بضاحية عين شمس من ضواحي القاهرة ــ ترجمة للشيخ الدجوي بعنوان : " الغيث المروي في ترجمة الأستاذ الإمام الدجوي " ط مطبعة اللواء بمصر ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦م وتقع في ثمانية وأربعين صحيفة من القطع الصغير وسنأخذ منها الشيء الكثير في ترجمة الشيخ لملازمة المؤلف للشيخ فترة طويلة ومعرفته بأخباره وأحواله .. والله المستعان .

١ ــ نسبه ومولده :

هو السيد الألمعي يوسف بن الشيخ أحمد بن نصر بن سويلم الدجوي نسبة إلى قرية دجوة[١] من أعمال مديرية[٢] القليوبية بمصر على شاطئ النيل الشرقي (فرع رشيد) وقد ولد سنة سبع وثمانين ومائتين ألف هجرية .

نشأ بين والدين كريمين ، أما أبوه فكان من أعيان دجوة المشهورين ، ينتهي نسبه إلى حبيب من بني سعد إحدى قبائل

---

(١) الدجوة ــ بالكسر ــ قرية بمصر من أعمال مركز طوخ محافظة القليوبية .. وجاء ذكرها في معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي البغدادي المتوفى ٦٢٦هـ ، وفي مراصد الإطلاع على اسماء الأمكنة والدفاع ص ٣٩٣ .

(٢) تم تغييرها مع بقية المديريات إلى مسمى " محافظة " .

العرب الحجازية ، وكان أبوه مضرب المثل في الكرم والمروءة ، يؤم داره الغرباء وعابروا السبيل من البلدان النائية فيكرم وفادتهم ويحسن نزلهم وفوق كل ذلك كان من خير أهل الدين والصلاح ، وكان بيته مثابة للعلماء والفضلاء ، وكان له فيه مكتبة عامرة بالكتب القيمة يختلف إليها أهل العلم للاطلاع والبحث والمدارسة وإفادة الناس وتفقيههم في أمور دينهم .

وأما أمه : فهي السيدة الهاشمية التي ترجع إلى أصل يدين كل الأصول سبط خير الرسل ، الحسن بن علي رضي الله عنهما .

٢ ــ نشأته :

نشأ الشيخ في هذا الجو العلمي الديني الفسيح المشار إليه آنفا، وقد هيئه والده إلى طلب العلم فرتب له من حفظة القرآن الكريم من حفظه إياه ، وفي هذه الفترة الأولى من حياته أصيب بفقد بصره ، فحزنت أمه حزناً شديداً ، فجاءها والدها الشيخ عبد الفتاح الفرغلي ــ وكان من الصالحين ــ ترجم له الشعراني في طبقاته وبشرها بأنه سيكون له شأن كبير ، ومن ذلك ظهرت عليه النجابة بقسط وافر فأتم القرآن في غير طول من الزمن ، ثم بعث به أبوه إلى كعبة العلم " الأزهر الشريف " سنة اثنتين وثلاثمائة وألف هجرية ، وقد تخرج منه ودرس فيه مختلف علوم الشريعة وكذلك كان في مسكنه بعزبة النخل من ضواحي القاهرة ، دائم البحث والدرس على الرغم من أنه ضعيف البنية ، نحيل الجسم .

٣ ــ حياته العلمية في رحاب الأزهر الشريف : طالبا وشيخاً

افتتح حياته العلمية بدراسة علوم القرآن فتلقى منها على العلامة الشيخ حسن الجريسي الكبير علم التجويد فحذقه وبرع فيه ، ودرس الفقه على مذهب الإمام مالك ، كما تلقى علومه الأزهرية في عصره على خير شيوخ الأزهر وعلمائه فأظهر من الذكاء وحدة الذهن والنبوغ ما لفت أنظار الشيوخ إليه وحملهم على تقدير مواهبه وإكبار بحثه ودقة تفكيره ، وكان حريصاً على الدرس دائم البحث والتمحيص على الرغم من أنه ضعيف البنية ، نحيل الجسم، وقد اتخذه إخوانه موئلا فيما يقفون عنده من إشكالات العلم ، وتحرير مسائله وكأنه شيخ لهم ثم يحضر الدرس معهم على الشيخ الرسمي بعد ذلك فإذا عرضت مسألة معقدة أو شديدة الإبهام سأله الشيخ فيها وكثيراً ما تحل مشاكل الدرس برأيه ، وقد حصل ذلك عدة مرات بدرس شيخه في الفقه الشيخ العلامة الشيخ هارون عبد الرازق ... ولم يزل كذلك معروفاً بالذكاء والنبوغ عند شيوخه حتى أتم سني الطلب وتهيأ لدخول امتحان العالمية ولم يجاوز التاسعة والعشرين من عمره . حيث تقدم إليها في أول صفر سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف هجرية وكان رئيس لجنة الامتحان الأستاذ الكبير العلامة الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر وقتذاك ومن بين أعضائها شيخ أحناف زمانه الشيخ محمد راضي فأظهر الشيخ سعة الإطلاع وغزارة العلم ودقة البحث ما ملأ أعضاء اللجنة به إعجابا فأقروا له جميعاً بالدرجة الأولى الممتازة .

حياته في التدريس :

ولأن نبوغ الشيخ في مرحلة الطلب والتي فاق فيها أقرانه بل بعض شيوخه كان واضحاً ، نجده في توليه التدريس لم يبدأ كما بدأ المدرسون الجدد في عصره من أول كتاب للمبتدئين ، بل اختارته المشيخة لتدريس شرح ابن عقيل فكان عالماً كبيراً ونقل إلى الإسكندرية ، فرأى الطلبة من أول يوم أن الشيخ يقرر القواعد بلسان واضعيها ، ويرفع إشكالات المسائل بلسان قائليها ، ويصور المعاني بألفاظ يقر بها من أذهان سامعيها فأحبوه وتعلقوا به ورغبوا إليه أن يقرأ لهم كتباً أخرى فقرأ لهم شرح السعد بعد المغرب ، وشذا العرف في فن الصرف ، والعصام على السمرقندية ، و(جمع الجوامع) في علم الأصول ، ومختصر ابن الحاجب في الأصول عند المالكية وغيرها .

شيوخه :

وقد اغترف الشيخ من مناهل عدة يدل على ذلك تنوع ثقافته من علوم القرآن ، والقراءات ، واللغة ، والأصول والفقه وغيرها فلابد وأن يكون قد تتلمذ على أيدي كبار العلماء ، ويوقفنا الشيخ محمد زاهد الكوثري على طرف من ذلك كما يلي :

١ ــ الشيخ حسن الجريسي الكبير وهو مقرئ مشهور معلوم في زمانه أخذ عليه الشيخ الدجوي علوم القراءة " التجويد والقراءات " .

٢ ــ هارون عبد الرازق البنجاوي المتوفى ١٣٣٦هـ .

٣ ــ الشيخ أحمد الرفاعي الفيومي المتوفى ١٣٢٦هـ .

٤ ــ الشيخ محمد بن سالم طموم المتوفى ١٣١٤هـ .

٥ ــ الشيخ أحمد فائد الزرقاني .

٦ ــ الشيخ رزق بن صقر البرقامي .

٧ ــ الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر .

وهؤلاء من السادات المالكية .

٨ ــ الشيخ محمد البحيري .

٩ ــ والشيخ عطية العدوي .

من فقهاء الشافعية .

تلاميذه :

١ ــ الشيخ محمد زاهدي الكوثري : حيث قال " تلقيت من الأستاذ الدجوي رحمه الله موطأ الإمام مالك من رواية يحيي الليثي، فقد كان سند الشيخ الدجوي في قراءته لموطأ مالك متصلاً حتى الإمام مالك في سند كله من المالكية .

٢ ــ الشيخ علي الخصوصي : شارك الشيخ محمد زاهد الكوثري في تلقي موطأ مالك على الشيخ الدجوي .

٣ ــ الشيخ عبد الرافع الدجوي : ابن أخي الشيخ الدجوي وزوج ابنته والذي كان يعمل على نشر مؤلفات وكتب شيخه .

٤ ــ الشيخ يوسف البيجرمي .

٥ ــ الشيخ عبد الرازق البيجرمي ، وقد تولى طبع ونشر بعض محاضرات الشيخ كالمحاضرة السلطانية .

مؤلفاته :

وكما سلف فقد تعددت أنشطة الشيخ وثقافاته بتعدد مواهبه فنجد وفرة متنوعة من المؤلفات والبحوث والمحاضرات والمقالات فضلاً عن الفتاوى على صفحات المجلات الإسلامية السيارة والصحف في مختلف بقاع العالم الإسلامي ، نثبت منها ما وقع تحت أيدينا .

أولاً : في العقيدة والأخلاق :

١ ــ سبيل السعادة : ألفه سنة ١٣٣٠هـ ــ ١٩١٢م في فلسفة الأخلاق الدينية مطبوع .

٢ ــ الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف في الكتاب الشريف ط مطبعة النهضة الأدبية ويقع في مائتين وسبعين صفحة ألفه سنة ١٣٣١ ــ ١٩١٣م بمناسبة قيام رئيس المبشرين القس كولد ساك بحملته التي تجلت في كتابه " هل من تحريف في الكتاب الشريف " الذي ألفه طاعنا به على القرآن الكريم وعلى الإسلام ونقص من شأن القرآن وطبع منه نحو المليون ووزعه على المدارس المصرية وغيرها ، فغضب الشيخ غضبته المعروفة وألف الجواب المنيف فأتى على مزاعم ذلك الطاعن من أساسها ، وفيه من البراهين والمحاكمات العقلية وشهادات فلاسفة أوربا للدين الإسلامي ما كبت ذلك المعتدي الأثيم وأفحمه وأظهر باطله وبين

صحة ما جاء به القرآن الكريم وعصمته من التحريف ونزاهته عن كل تغيير أو تبديل في أي حرف من حروفه بل جمله وآياته .

٣ ــ رسائل السلام ورسل الإسلام ــ وهو كتاب من الحجم الوسط تبلغ صفحاته زهاء ثلاثمائة وخمس وثلاثون ، ألفه أوائل سنة ١٣٤١هـ ــ ١٩٢٢م .

وسبب تأليفه أنه جاء خطاب من عظماء أمريكا إلى فضيلة المرحوم الشيخ سليم البشري " شيخ الجامع الأزهر وقتذاك " يطلب فيه كاتبوه كتابا يعرفهم أصول الإسلام ونبي الإسلام ومزايا الإسلام.

٤ ــ مذكرات في الرد على كتاب " الإسلام وأصول الحكم" الذي كتبه الشيخ علي عبد الرازق يطعن به على شؤون الخلافة وأصول الحكم في الإسلام عام ١٣٢٤هـ ــ ١٩٢٥م ، وقد جاء الرد للشيخ الدجوي في نفس العام .

٥ ــ كلمة في السلفية الحاضرة : كانت فتوى على موضوع خاص لأهل دمشق الشام فطبعها علماء دمشق ونشرت في جماد الثانية سنة ١٣٥٦هـ هناك .

٦ ــ كلمة في أفعال العباد : جردها ابن أخيه الشيخ عبد الرافع الدجوي من درس التفسير ونشرها مع الترجمة التي كتبها عن الشيخ الدجوي بعنوان " الغيث المروي في ترجمة الأستاذ الإمام الدجوي

٧ ــ الرد على الطبيعيين ، وفضيحة الملحدين .

٨ ــ بالإضافة إلى مباحث كثيرة ضمها كتاب " مقالات وفتاوى الشيخ الدجوي " الذي جمعه مجمع البحوث بمصر عام ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

ثانيا : في التفسير وعلوم القرآن :

كان رحمه الله تعالى يلقي درس التفسير في الصباح الباكر بجامع العدوي والرواق العباسي منذ سنة ١٣٣٠هـ حتى ١٣٤٢ هـ ومن آثار ذلك :

١ ــ رسالة في تفسير قوله تعالى : " لا يسأل عما يفعل " بغير ما قاله المفسرون ، اشتملت على مقدمة وثلاث مقالات ، المقدمة تحدث فيها الشيخ عن الآيات الكونية ما خلق منها وما لم يخلق ، وما اكتشفه العلم وما يكتشفه ، والمقال الأول : في موضوع الآية الشريفة ، والمقال الثاني : عن العلماء ووصف ما هم عليه ، والمقال الثالث : في الإخلاص .

٢ ــ المحاضرة السلطانية : ألقاها بالرواق العباسي من الأزهر في ٤ من محرم سنة ١٣٣٦هـ جمع فيها من أسرار التشريع والآيات الكونية وقد طبعها ونشرها الشيخ عبد الرازق البجيرمي " أحد تلامذة الشيخ "

٣ ــ رسالة في آيات قرآنية : نشرها ضمن كتابه رسائل السلام ورسل الإسلام ، ذكر في هذه الرسالة ما جاء في القرآن من

الحكم والمواعظ ، أوصاف المتقين ، أوصاف المنافقين ، الآيات الدالة على وحدانيته تعالى ، ما جاء في القرآن من ذكر القيامة وأهوالها.

٤ ــ تفسير مجموعة من الآيات والسور القرآنية وهي :

قوله تعالى : " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب " .

قوله تعالى : " إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين "

قوله تعالى : " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ... "

تفسير سورة الأعلى ، العصر ، الإخلاص ، الشمس ، الإنشراح ، الزلزلة ، العاديات ، القارعة ، التكاثر ، الهمزة ، قريش ، الماعون ، الكوثر ، الكافرون .

وقد جمع مجمع البحوث الإسلامية تفسير هذه الآيات والسور للشيخ ضمن كتاب " مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي " الذي ضم مقالاته وفتاويه المتناثرة في الصحف والمجلات وقد وقع من أربعة أجزاء في مجلدين ، خصص الجزء الثالث للتفسير والذي ضم الآيات والسور آنفه الذكر ووقع في قرابة أربعين صفحة .

ثالثاً : في العلوم والمعارف الإسلامية :

١ ــ رسالة في علم الوضع : ألفها سنة ١٣٣٦هـ ــ ١٩١٧م .

٢ ــ صواعق من نار في الرد على صاحب المنار " محمد رشيد رضا" نشرها تلميذ المؤلف وابن أخيه الشيخ عبد الرافع الدجوي وهو كتاب يصور المعركة الفكرية بين شيخنا والشيخ محمد رشيد رضا

٣ ــ هداية العباد على طريق الرشاد سنة ١٣٥٦هـ وهو كتاب جمع محاسن الإسلام ومزاياه .

٤ ــ الإضافة على جزء خصص للفتاوى في كتابه "مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي "

٥ ــ رسالة صغيرة عن الأئمة الأربعة " الفقهاء " كتبها لعلماء الشام الذين طبعوها ونشروها في بلادهم[١]

دروسه في التفسير :

كان الشيخ يلقي دروس التفسير في الصباح الباكر بجامع العدوي وبالرواق العباسي بالأزهر الشريف ــ كما قدمنا ــ متشبها بالشيخ محمد عبده الذي كان يلقي دروسه في التفسير بنفس الرواق[٢] وقد ختم القرآن تفسيراً ، ولازمه ابن أخيه المحامي الشيخ عبد الرافع الدجوي في هذه الدروس ، فكان يكتب هذه الدروس يوميا ثم يعود لمراجعتها على الشيخ بعد الدرس لإكمال ما

(١) يراجع : الغيث المروي : صفحات متفرقة .
(٢) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين تأليف الدكتور / محمد رجب البيومي جـ ٥ ص ١٠ .

نقص وصيد ما ندَّ من جواهر أو زيادة جديد من فوائد شرائد . كما كان يفيد رشيد مع الأستاذ الإمام ، بيد أن انصراف الشيخ عبد الرافع إلى حياته العملية الخاصة وقتاً ليس بالقصير لم يمكنه سوى من تدوين تفسير ثلث القرآن وراء الشيخ الدجوي في مدة عشر سنوات كان دونها في أربعين كراسة كبيرة قبل انقطاعه الذي دام خمساً وعشرين سنة[١] وقد حاول طبعها بعد وفاته فلم يتيسر من يساعد على ذلك[٢] غير أننا في ذات الوقت نجد كثيراً من هذا التفسير مبثوثاً ومتناثراً في بعض رسائل أخرجها ابن أخيه عبد الرافع الدجوي وأثبتناها في مؤلفاته في التفسير ، ونجدها في مقالاته في المجلات والصحف الإسلامية والتي ضم بعضها كتابه الذي صدر مؤخراً عن مجمع البحوث بعنوان " مقالات وفتاوى الدجوي " ، ونجدها كذلك في باب التفسير في مجلة الأزهر والذي حرره الشيخ الدجوي حينا من الدهر ، حتى وجدنا الشيخ محمد زاهد الكوثـري ــ وكيل المشيخة الإسلامية في الدولة العثمانية ــ (١٨٧٩هـ ــ ١٩٥٢م) يصفه بأنه مفسر الأزهر ومحدثه وفيلسوفه ..[٣]"

(١) يراجع الغيث المروي تأليف عبد الرافع الدجوي ص ٣٧ ــ ٣٨ .
(٢) عبد الرافع الدجوي ص ٣٨ د . رجب البيومي ص ١٠ .
(٣) من تأبين محمد زاهد الكوثري المنشور بمجلة (الإسلام) ونقلها صاحب كتاب الغيث المروي ص ٤١ ــ ٤٤ .

ووجدنا أحد الشعراء المعاصرين للدجوي وهو الأستاذ مصطفى أفندي الجندي أحد مدرسي وزارة المعارف بشبين القناطر بمناسبة زيارة الشيخ لبندر شبين عام ١٩٢٧م أبياتا شعرية منها :

كم من فرية قامت فكنت تردها بنواصـــع الآيات والبرهـــان

إن يأخذوا التفسير عنك فإنمـــا أخذوا عـــن الالهام خير بيان[١]

مذهبه الفقهي :

والشيخ الدجوي مالكي المذهب تفقه على نابهي عصره من خير شيوخ الأزهر كالشيخ هارون عبد الرازق وأضرابه[٢] وقد اختير عضوا في هيئة كبار العلماء لملئ كرسي المالكية في أغسطس ١٩٢٠م ، وكان مقصد الفتوى للعالم الإسلامي شرقه وغربه[٣] .

وقد قال العلامة الأستاذ : محمد فريد وجدي في رثائه للعلامة الدجوي بمجلة الأزهر : " ومن مميزات الفقيه ــ ﷺ ــ أنه يأنس إلى البحوث النفسية الحديثة في أوربا ويراها خير أداة لكسر شوكة الماديين ،

فاعتمد في بحوثه على ما حققوه منها ، وكان لا يخشى في مجاهرته بذلك لومة لائم[٤].

---

(١) الغيث المروي ص ٢٣ .
(٢) الغيث المروي ص ٦ .
(٣) الغيث المروي ص ١٩ ومقالات وفتاوى الدجوي صفحات متعددة .
(٤) رجب البيومي ص ١٧ .

تنوع ثقافته وعلومه :

والشيخ رحمه الله تعالى لم يقتصر في تعلمه وتعليمه وتدريسه على فن واحد من الفنون بل أخذ من كل بسهم وافر إضافة إلى بعض مواهبه العلمية والثقافية كقرضه للشعر وحسه النقدي والعلمي عند عرض مسألة ما أو الرد على مخالف ، يرى ذلك من يطالع كتبه ومؤلفاته دون كبير عناء ، فأما عن حذقه للفنون والعلوم المختلفة فأول ما يطالعنا علم العقيدة الذي ظهر جلياً واضحاً في كتاباته تقريراً ودفاعاً خاصة في معاركة مع أصحاب الاتجاه السلفي فيما يتعلق بالأضرحة وصلتها بالابتداع والوصف بالشرك ، وفي جانب علم الحديث كانت له صولات وجولات ومعارك فكرية بشأن تصحيح بعض الأحاديث وتضعيفها مع الشيخ محمد رشيد رضا مثل حديث أبي ذر ﷺ الذي رواه عن النبي ﷺ بشأن غروب الشمس وأنها تذهب حتى تسجد تحت العرش .. " الذي أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق وغيره ، كذلك في اطلاعه على العلوم الحديثة في عصره وربطها بالإعجاز القرآني العلمي ، .. وهذا كله ظاهر في كتابه " مقالات وفتاوى الدجوي " الذي طبع مؤخراً ، وكتابه " مختارات من تفسير جواهر التنزيل " الذي استملاه وطبعه ابن أخيه عبد الرافع الدجوي ، وكتابه " رسائل السلام ورسل الإسلام " وغيرها ، وأما عن مواهبه فمثل قرضه للشعر كقوله في مديح شيخه المرحوم الشيخ هارون عبد الرازق بقصيدة مطلعها :

أضحى هيامي عن جواي يبين والقلب قبل البين كاد يبين

إلى قوله في التخلص

يا نفس عزّ وصالهم فتصبري وعليك في النائبات معين
أستاذ أهل العلم حجة عصره تاج الأكابر والأكابر دون
هو سيبويه النحو بعد زمانه وعصامه وبفقهنا سحنون
كان الذي يقراه فنا واحـــــداً لكن بيان الشـــيخ فيـــه فنـــون

وقوله في مديح أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها قصيدة منها:

مَنْ مثل من قد صدقت خير الورى وقلوب كل الناس غاب هداها
لما أتاها من حرا في دهشة ورأته مرتاعاً وقد ناجاها
قالت مقال خبيرة وبصيرة وكأنما الوحي الأمين أتاها
والله لا يخزيك ربك سيدي أبداً فكن متهللاً يا طه
مَنْ مثل من جاء النبي المجتبي بسلامها جبريل عن مولاها
وبشارة عظمى بقصر طيب في جنة الفردوس فيه مناها
يا من تريد مديحها أقصر تجـــــد مدح النبي المصطفى أغناهـــا

مواقفه في الدفاع عن الإسلام :

والشيخ الجليل رحمه الله مواقف متعددة في الدفاع عن الإسلام داخليا وخارجيا نشير إلى بعضها :

١ ــ من ذلك : حينما قام رئيس المبشرين القس كولدساك ــ المشار إليه آنفا ــ بحملته ضد القرآن الكريم والطعن فيه ، لم

يكتف الشيخ الدجوي بالرد عليه وإفحامه بل سعى سعيه المشكور لدي أولي الأمر وقتذاك فأمروا بمصادرة ذلك الكتاب الذي ألفه هذا القس ، وجمعه من المدارس[١].

٢ ــ ألف جمعية النهضة الدينية الإسلامية من العلماء لمناهضة المبشرين سنة ١٩١٤م ، وكان فضيلته على رأسها فبسطت يد الدين وكان لها خطرها ، وامتدت فروعها في أنحاء القطر ، مما دها المبشرين وكاد يقضي عليهم وعلى جمعياتهم فلما بسطت الدولة المحتلة حمايتها على مصر وأعلنت الأحكام العرفية إبان الحرب العامة ــ العالمية ــ ورئيس الحكومة وقتذاك قائمقام خديو مصر " المرحوم حسين باشا رشدي " فدعا الشيخ إلى ديوان الداخلية وطلب إليه ألا يتوغلوا في البلاد وقال له (أنت لك يا مولانا مشاغبات كثيرة مع المبشرين) فقال له : " وهذه وظيفة العالم " فقال : أرجو أن تكفوا لئلا يستغل الظرف لأجل الدين والحرب قائمة ، فشرط عليه الشيخ أن يوقف تيار المبشرين بما له من السلطة ، وقال لكم هذا وقد فعل ، وهذه حادثة مشهورة سنة ١٩١٧م للشيخ رحمه الله وكان معه عالمان من علماء الأزهر ، وعضوان من أعضاء الجمعية[٢].

٣ ــ ومن تلك المواقف أيضا : أنه ألف جمعية مساعدة منكوبي حرب الأناضول في فتح تركيا الجديدة ، وكان الشيخ رحمه الله رئيسا للجمعية وخطيبها لأول مرة بدار السيد عبد الحميد

(١) الغيث المروي ص ١٤ .
(٢) الغيث المروي ص ١٨ .

البكري بمصر، ثم رأى لاعتبارات خاصة أن تسند رياستها للأمير عمر طوسون ــ رحمه الله ــ وظل الشيخ فيها حتى أدت رسالتها نحو المنكوبين، حتى كان الانقلاب الكمالي في تركيا فتعطلت أعمال الجمعية[1].

عزلة الشيخ :

يقول عبد الرافع الدجوي تلميذ الشيخ وابن أخيه : كثيرا ما ذم الشيخ حب الظهور ، وكثيرا ما دعا إلى العزلة ، وطالما تاقت نفسه إليها ، فقلت له : ولو كان الإنسان مطلوبا للناس ؟! فقال : هذا شيء آخر ، ولابد أن تجئ العزلة وتكون حتمية ، وفي هذه اللحظة التي نتكلم فيها جاء موزع البريد يحمل عدة خطابات من جهات متعددة ــ ما بين استفتاء أو قضاء مصلحة .. الخ ــ فقلت له في تبسم : كيف الحال وما رأي فضيلتكم في العزلة ؟ فتبسم وقال : يفعل الله ما يشاء ... ومع ذلك فتراه في كل حين يقول : هذا وقت السكون ، وملازمة البيوت ، والرضا بالقوت حتى تموت، وينصح بنصيحة الرسول ﷺ : فليسعك بيتك .. إلى غير ذلك مما كان يدعوه منذ آخر (سنة ١٣٥٥هـ) إلى ترك الدرس بالرواق العباسي بالأزهر مع كثرة طالبيه وإلحاح محبيه ، وقد لزم داره بعزبة النخل من ضواحي مصر ــ في ذلك الوقت ــ وكانت في وجوده كعبة القاصدين وقبلة الزائرين ، فلا تكاد تخلو من فوج يستمع ، أو فوج يستفتي ، ولم تنقطع الرسائل اليومية داخلية

(١) السابق ص ١٨ ــ ١٩ .

وخارجية من الأقطار الإسلامية وعلى كثرتها تراه يجيب عنها تارة إجابة خاصة بذويها ، وتارة تنشر بالصحف والمجلات .. الخ[1]

بعد العزلة : " أول سنة ١٣٦٢هـ ـ ١٩٤٢م " :

وكان الشيخ حكم كثيرة بعد أن اعتزل الدرس وسكن بضاحية عزبة النخل .

في الرحمة :

ارحم عباد الله يرحمك الذي عم الخلائق جوده ونواله
فالراحمون لهم نصيب وافر من رحمة الرحمن جل جلاله

في الرضا :

كن راضيا بالقضاء واستجل حكمته أما الصفاء فدار الخلد موعده

وفي الرجاء :

إذا ما رعيت الود وهو مقدس ظفرت بحمدي وهو حمد محبر
وأجرك عند الله بعد مضاعف تساعدن في الله والله أكبر
وبعد فذي الدنيا غرور وباطل وما غنمها إلا التقي والمآثر

وفي العزلة :

يئست من الأنام فطاب عيشي وتمت راحتي وصفا يقيني
عرفت الناس ثم فررت منهم لأصلح ما تصدع من شؤوني

(١) الغيث المروي ص ٢٦ .

وفاته :

وفي أوائل سنة ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م كانت مجالسه تشع نورا ، وتفيض روحه بالروحيات وأصبح يصفو إلى لقاء ربه ، ويردد :

الموت أفضل تحفـــــة للمؤمن المتديـــــــن
ينجيه من آفاتهـــــــا ويصير العيش الهنـــــي

يقول تلميذه وابن أخيه الشيخ عبد الرافع الدجوي :

قبيل وفاته بأيام رأيت في وجهه نوراً مشرقاً جديداً مشعراً بفراقه في أيام قليلة فلازمته أربعة أيام وفي الليلة الأخيرة ـ قبل الوفاة ـ أمرني بتلاوة شيء من القرآن ، فتلوت وأنا واقف بجنب سريره ، نحو جزءين من متفرقات السور كان يشير إليها من آخر الأعراف ثم يس ثم الكهف ثم تبارك إلى أن قال كفى بارك الله فيك، فلما كان اليوم الرابع من صفر ١٣٦٥هـ ـ ٨ يناير ١٩٤٦م، انتقل في آخره إلى الرفيق الأعلى رحمه الله رحمة واسعة[1].

(١) الغيث المروي ص ٢٧ ـ ٣٤ .

الفصل الثاني
الشيخ الدجوي مفسراً

وينقسم إلى :

١ ــ المبحث الأول : منهج الشيخ الدجوي وأسلوبه في التفسير .

٢ ــ المبحث الثاني : الجوانب الإبداعية في تفسيره .

٣ ــ المبحث الثالث : معارك الشيخ الدجوي الفكرية .

المبحث الأول

منهج[1] الشيخ الدجوي في التفسير

معالم منهج الشيخ الدجوي في تناوله للسور والآيات التي فسرها وطريقته فيها واضحة يمكن ذكرها واحدة تلو الأخرى مع التطبيق بذكر نص يوضح كل معلم من معالم منهجه وأسلوبه وطريقته ، ونبدأ أولاً بذكرها مجملة ثم نعقبها بالتفصيل وذكر النصوص الموضحة المفصحة من كلام الشيخ :

١ ــ يبدأ الشيخ الدجوي بذكر اسم السورة وبيان أهميتها ، ثم بيان المعنى العام للآية إجمالاً من خلال المفردات .

٢ ــ يقوم في جل المواطن بتفسير القرآن بالقرآن .

٣ ــ يستعين في تفسيره لبعض الآيات بذكر أسباب النزول.

٤ ــ يعرِّج في تفسيره إلى جانب التفسير الموضوعي فيعقد فصولا للحديث عن موضوعات خاصة مختلفة كصفات المتقين ، صفات المنافقين ...

٥ ــ ينحو في تفسيره في مواضع كثيرة المنحي الصوفي الاشاري تارة ، والمنحي الكلامي تارة أخرى .. حسبما يقتضيه المقام .

---

(١) علم المناهج : علم بعدي يأتي بعد العلوم ويحللها ويستخلص النتائج وهدف المؤلف وطريقته : ينظر منهج الألوسي في روح المعاني للأستاذ محمود السعيد الطنطاوي حاشية ص ٤٤ .

٦ ــ يهدف من وراء تفسيره في كثير من المواطن معالجة الجانب الإيماني والأخلاقي والسلوكي للمسلم.

ونبدأ في تفصيل معالم هذا المنهج واحداً تلو الآخر في السطور التالية :

١ ــ **فأما عن العنصر الأول** من العناصر المكونة لمنهج الشيخ في تفسير آيات الذكر الحكيم وهو **بدء الشيخ بذكر اسم السورة وبيان أهميتها**

فمن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ في تفسيره لسورة الفاتحة : إذ يبدأ تفسيرها بقوله : (وهذه السورة سميت الفاتحة ، لأنها فاتحة الكتاب الكريم ، ومن أسمائها أم القرآن وهي السبع المثاني التي أوتيها محمد ﷺ ، وهي على قصرها قد حوت معاني تسمو عن الحصر وتبلغ الغاية في الخير ، وإذا ذهبنا نتكلم عليها اتسع علينا نطاق القول ، وترامت بنا أطرافه ، وتعددت نواحيه ، وتباعدت مراميه ، ولقد يعجز البليغ عن أن يأتي على ما فيها من أسرار وخواص ، ولكل سورة من القرآن ، بل لكل آية خواص تخالف غيرها ، وحسبنا من هذه السورة أن صلاتنا لا تفتتح إلا بها ، فهي جديرة بأن تكون فاتحة كل خير في وسائل الإنسان وحاجاته .. [١]

(١) تفسير سورة الفاتحة للشيخ الدجوي ضمن كتابه " مختارات من تفسير جواهر التنزيل " مستمليها ومنسق نظامه عبد الرافع الدجوي ص ٨ .

٢ ــ تفسيره للقرآن بالقرآن :

فأما عن تفسيره للقرآن بالقرآن فنجده في الرسالة الثالثة من كتابه " رسائل السلام " يجعلها تحت عنوان " آيات قرآنية " يقول : قد رأيت فيما سبق لك شيئا كثيرا عن القرآن وسمعت تنويها بذكره ورفعا من شأنه فوجب أن نسمعك شيئا من آياته . ونماذج من بيناته حتى تحكم بنفسك وترجع في ذلك إلى حسك . ولنبدأ بما يذكره القرآن الكريم في بيان وحدانية الله تعالى فنقول . يقول تعال] في سورة الأنبياء (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) . (فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) إلى أن قال (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) .

فانظر رعاك الله ما قرره من القرآن في هذه الآيات من أنه لا إله إلا الله . وأن الرسل معزولون عن منصب الألوهية بأتم ما يكون وأبلغ ما يتصور . بل لا نصيب لهم في مقام الشفاعة وهو من أهون الأشياء إلا إذا ارتضى لهم سبحانه أن يشفعوا كما قال في الآية الأخرى في سورة سبأ (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) . فقارن بين ما ستسمعه في هذه الآيات من توحيده تعالى وبين ما يقوله كذبة المبشرين في أوربة وأمريكا لسذّج القوم هناك من أن محمدا كان يدعو لعبادة نفسه. وأن المسلمين يعبدونه من دون الله .

يريدون أن يصوروا الإسلام في نظرهم بصورة الديانات الوثنية . والشرائع الهمجية مع كونه ﷺ يقرر كما رأيت أن من يقول (انى إله من دونه) يحشر في عداد الظالمين وليس له جزاء إلا جهنم مهما كانت درجته . وهو الذي يقول في سورة مريم (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا. وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) ويقول في آخر سورة الكهف (إنما أنا بشر مثلكم يوحي على أنما الهكم اله واحد . فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ويقول تعالى في سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) وانظر بصرك الله في تلك العظمة التي تخاطب الناس كلهم بهذا الخطاب ولا تعبأ بالمسيح ولا غيره ويقول (وإلهكم اله واحدا لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) سورة البقرة ، ويقول في بيان أنه تعالى قيوم الكل . لا قوام لشيء إلا به وإنه بلغ من العظمة إلى حد أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه وبيان أن علمه محيط بكل شيء وإننا لا نصل إلى شيء من معلوماته إلا بما شاء فنعلمه كما شاء وكيف شاء كما تقتضيه قيوميته لكل الخلائق في كل الأحوال . وبيان أن السموات والأرض على عظمها وشدة اتساعهما مكلوءة بكلاءته محفوظة باحاطة قيوميته وأن ذلك على عظم أمره لا يصعب عليه. بل هو من أهون الأشياء لديه . وكل شيء يتصاغر في جانب

ربوبيته ويتضاءل بالقياس على عظمته . بل لا عظيم غيره ولا كبير سواه فقال في سورة البقرة : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[١] ويقول بعد أن بين إنه مبدع الكائنات ورب الآيات والنعم المتواترات ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[٢] ويقول لمن اتخذ من دونه آلهة لا تضر ولا تنفع مقدرا لكونهم عاجزين غير قادرين على أقل الأشياء فضلا عن أن يماثلوا رب الأرض والسماء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾[٣] ويقول ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[٤] ، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً *أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٢) سورة فاطر الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٣) سورة الحج آية ٧٣ .
(٤) سورة الأحقاف الآيتان٥ ، ٦ .

فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً ﴾[1]، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[2] ، ولندع بيان ما في ذلك الكلام من بلاغة تتملك النفوس وجزالة تأخذ بالألباب فارجع إلى وجدانك واستجل ما فيه من روعة تنتعش بها الأرواح وبراعة تهتز لها الأشباح . ثم استثر اسفك على أولئك الذين يتخبطون في الظلمات وقد أحاطت بهم الآفات من كل الجهات . وقد تحسر القرآن عليهم بقوله ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[3] وأما نحن فلا يمكننا في هذه العجالة أن ننهج هذا المنهج . فلندعه إلى الإحساس الرقيق والفهم الدقيق وكم للقرآن من بدائع وروائع في تشبيهاته وأمثاله . وإن شئت فانظر إلى قوله في تبيين حال الدنيا وتقلبها بأهلها أسكن مما يكونون إليها وافرح ما يكونون بهـا ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا

(١) سورة الكهف الآيات ١٠٣ – ١٠٦ .
(٢) سورة النور الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .
(٣) سورة يس الآية ٣٠ .

لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] ، إلى غير ذلك مما فاض به القرآن ولا يسعه البيان وأما ما ورد من بيان عظمته وقيوميته لجميع خلقه فهو أكثر من أن يحصى . ولنتل عليك شيئا منه فنقول . قال تعالى في بيان ذلك ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٢] ، ويقول ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٣] ، ولست أرى شيئا أدعى إلى التوكل عليه وتفويض الأمور إليه من هذا البيان الذي يستولي على الوجدان ويأخذ بمجامع قلب الإنسان من أنه يعلم غيب السموات والأرض وأنه يرجع إليه الأمر كله ويقول فيما يحكيه عن بعض أنبيائه تعليما لنا وتقريراً لعقيدة التوحيد وما يجب لها﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٤] ، وإذا كان آخذا بناصية كل دابة كان الكل تحت قهره خاضعا لأمره شاء أم أبى كما يقول ﷻ ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[٥] ، ويقول في بيان علمه القديم وأحاطته التي تليق بألوهيته ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ

(١) سورة يونس الآية ٢٤ .
(٢) سورة يس الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .
(٣) سورة هود الآيتان ١٢٣.
(٤) سورة هود الآية ٥٦ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٨ .

فيه وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[١] ، كما يقول في الآية الأخرى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[٢] ، وإني لأعلم إنه قد بهرك من عظمته تعالى ما رأيت وما سمعت إن كان صادفك الرشد وصاحبك التوفيق. وإني أزيدك أنه قد ورد في القرآن ما هو أكبر من هذا استيلاء على النفوس وأخذا بمجامع القلوب حيث يقول ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣] ، ويقول ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٤] ، ويقول في بيان أن كل شيء خاضع لمجده مسبح لحمده ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[٥]، فاثبت التسبيح للطير في هذه الآية كما أثبته لكل شيء في قوله ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

(١) سورة يونس الآية ٦١.
(٢) سورة الأنعام الآية ٥٩ .
(٣) سورة المجادلة الآية ٧ .
(٤) سورة ق الآيتان ١٦.
(٥) سورة النور الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[١] ، وقد أثبت أهل العلوم الطبيعية مما وصلوا إليه من المباحث الآن أن في كل شيء حركة فانظر هذا مع قول القرآن ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[٢] ، وقوله ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[٣] ، وقوله ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[٤] ، إلى آخر ما أشار إليه ونبه عليه مما هو أبلغ من كل ما قيل وأكبر من كل ما يقال . وأما ما ورد في تقدير أن الأمور كلها راجعة إليه وأن الاستعداد لا يكون إلا من لدنه فهو كثير مثل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٥] ، ويقول ﴿ مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٦]، ويقول ﴿ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾[٧] ، ويقول﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾[٨] ، ويقول﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾[٩] ، يريد أن من

(١) سورة الإسراء الآيتان ٤٤ .
(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٠.
(٣) سورة الإسراء الآيتان ٤٤ .
(٤) سورة الحج الآية ٥ .
(٥) سورة يونس الآية ٢ .
(٦) سورة فاطر الآية ٢ .
(٧) سورة سبأ الآية ٣٩ .
(٨) سورة الزخرف الآية ٣٢.
(٩) سورة الكهف الآية ١٧.

سبق في علمه تعالى انهم لا يؤمنون لكونه لم يسهل لهم أسباب السعادة ولا وضع في أرض قلوبهم بذر الهداية فلم تصلح لخبثها لغرس شجر الإيمان ولا ثمر الإيقان لا تنفعهم الآيات ولا تؤثر فيهم العظات . ويقول أيضا في بيان تصريفه القاهر وشأنه الباهر﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1] ، ويحسن لي هنا أن أنبهك على أن العصريين من علماء الطبيعة يعلمون من أسرار قوله﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ ﴾[2] ، ما لم يعلمه المفسرون من علمائنا قبل ويقول لنبيه﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[3] ، ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[4] ، ويقول معززا لكونه مالك الملك وأنه على كل شيء قدير﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾[5] ، ويقول مخاطبا لقوم يذكرونه في الشدة وينسونه عند الرخاء . مبينا لهم أنهم تحت قدرته لا يزالون في قبضته أين كانوا وعلى أي حال كانوا يقول﴿ وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي

(١) سورة آل عمران الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة الروم الآية ١٩ .
(٣) سورة الأنعام الآيتان ١٦٤ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٨٨ .
(٥) سورة إبراهيم الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً * أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً * أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾[١] ، ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾[٢] ، ويقول في بيان أنه تكفل بالرزق لكل شيء مع علمه بجميع أحواله ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[٣]، ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴾[٤] .

ومع هذا فإننا نقول سبحانك ما عرفناك حق معرفتك سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٥].

٣ ــ ذكره لأسباب النزول :

وكما هو معلوم فإن سبب النزول يعين على الفهم المستقيم الصحيح للآية .

ولم يغفل الشيخ الدجوي هذا الجانب فنراه بعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا

(١) سورة الإسراء الآيات ٦٧ - ٦٩.
(٢) سورة الرحمن الآيتان ٣٣ .
(٣) سورة هود الآية ٦ .
(٤) سورة المنافقون الآية ٧.
(٥) رسائل السلام ص ١٦٥ ــ ١٧٦ .

يَحْتَسِبُ ﴾[١] يعقد فقرة بعنوان " تكميل يقتضيه المقام " يلقى فيه الضوء على سبب نزول الآية فيقول :

" ذكر كثير من المفسرين في سبب نزول الآية أن عوف بن مالك أسر المشركون ابناً له فأتى رسول الله ﷺ فقال ابني ، وشكا إليه الفاقة فقال له " اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله .. " فعاد إلى بيته وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول " لا حول ولا قوة إلا بالله " فقالت : نعم ما أمرنا به ، فجعلا يقولان ذلك ، فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه سرح من الغنم غفل عنه العدو فاستاقه فنزلت الآية"[٢].

٤ ــ التفسير الموضوعي لدي الشيخ :

فنجد الشيخ يخصص فقرة بعنوان " وحدانية الله "[٣] وأخرى بعنوان " أوصاف المنافقين"[٤] وثالثة بعنوان " أوصاف المتقين"[٥] يجمع فيها آيات القرآن الكريم والتي تتحدث في الموضوع دون أن يقوم بتفسيرها لوضوحها ــ من وجهة نظره ــ وحتى لا يطيل على القارئ خشية الإملال

---

(١) سورة الطلاق الآيتان ٢، ٣.
(٢) مقالات وفتاوى الشيخ الدجوي جـ ٢ ص ١٤ ط مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م والحديث أخرجه الترمذي وصححه .
(٣) ينظر : رسائل السلام ص ١٦٥ ــ ١٧٦ .
(٤) ينظر رسائل السلام ص ١٨٢ ــ ١٨٣ .
(٥) ينظر رسائل السلام ص ١٨١ ــ ١٨٢ .

٥ ــ التفسير الوعظي والتفسير العقدي الكلامي ، والتفسير الكوني :

وهذه الثلاثة شاعت في تفاسيره للآيات والسور القرآنية ، فقد تأثر في الأول بأبي حامد الغزالي ــ ﷺ ــ إذ يقوم باستطرادات وافية هي في حد ذاتها رائعة قوية ولكنها لا تتصل بالنص القرآني مباشرة ، ويجوز أن تقتطع لتكون عظة دينية شافية، ولعل الشيخ الدجوي يميل على التأثير الوجداني بعد الشرح المنطقي ، ليجذب القراء إلى صفاء نقي شفاف

وعن التفسير العقدي الكلامي : فقد تناول الشيخ على صفحات مجلة الأزهر تفسير سور: الأعلى ، العصر ، الإخلاص ، الشمس، الانشراح الزلزلة ، العاديات ، القارعة ، التكاثر ، الهمزة، قريش ، الماعون ، الكافرون ، وفي بعضها أوجز ، وفي بعضها الآخر قد أطال مستطرداً ، فقد احتل تفسيره سورة الأعلى ما بين ص ١٢٠ إلى ص ١٧٥ من مجموعة آثاره ، وقد بدأه بتحديد العناصر الإجمالية للسورة الكريمة فحصرها في أربعة ، وشرع في البيان التفصيلي آية آية ، وحين تحدث عن "العلو" المفهوم من قوله تعالى " الأعلى " اتسع المجال إلى إيضاح مذهب السلف ومذهب الخلف ، وشرح أدق مسائل علم الكلام في وضوح يناسب قارئ مجلة سيارة، ثم لجأ إلى الاستطراد معترفاً بذلك ، لأنه في مقام تصحيح العقيدة، فذكر الأدلة على وجود الله وتنزيهه وأنه لا شيء مثله.."[1]

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي جـ ٥ ص ٢٩ ــ ٣٠ ط مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٨هـ

وأما عن التفسير الكوني ــ أو العلمي ــ فقد تعددت نماذجه وصوره في تفسير الشيخ فعند تفسيره لسورة الفاتحة يعرج إلى الكلام على عالم النبات ، وعالم النجوم والكواكب وعالم البحار وعالم الإنسان وما في تركيبه الحسي من أجهزة ..

٦ ــ يغلب على تفسير الشيخ عدم الخوض في تحليل معنى المفردات لغوياً أو اصطلاحياً ..

ويجعل همه الأكبر ما يشتمل عليه النص القرآني من فرائد دعوية ووعظية وإعجازية وروحية ، وقد أملى العصر الذي عاش فيه الشيخ عليه ذلك حينما راج الفكر المادي فكانت وقفات الشيخ ــ وأمثاله ــ في وجه هذا الفكر المادي الملحد ومن أوضح ما يدل على سلوك الشيخ هذا المسلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ...﴾ [1] ، قال رحمة الله تعالى . إذا أردنا أن نفسر هذه الآية الكريمة تفسيرا يوضح معناها . ويبين مغزاها ويكشف عما فيها من آيات كونية لا نستطيع أن نأتي على ما فيها من معان وأسرار ولكنا نستطيع أن نأتي ببعضه موجزا حسبما يقتضيه الاستعداد البشري الضعيف بجانب كلام رب العالمين . الذي أعجز الثقلين .

ــ ١٩٨٧م ، ويراجع مقالات وفتاوى الدجوي قسم التفسير جـ ٢ ص ١٢٠ ــ ٣٨٢ .

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

ولكن تأخذ الأسماع منـــه على قدر القرائح والفهوم

واسمعوا بعد إن في خلق السموات والأرض . وما فيها من الآيات البينات والبدائع المدهشات التي ستسمعون بعضها . ولندع الكلام الآن على السموات . فلا تتسع له مجلدات . ولنجعل الكلام على عالم الأرض التي نعيش عليها . فهي أولى بمعرفة ما عليها من حيوان . ونبات. وجماد . وأول ما ينبغي أن تلتفتوا إليه . أن تتخيلوا الأرض حينما كانت كتلة نارية . كما هو باطنها الآن أو أشد . وقد ذكروا أن باطن الأرض يصهر الصخور . فقل لي بعيشك . كيف صارت بعد ذلك محل العجائب والغرائب ؟ فقد جعلها الله مخزنا لكل ما نحتاج إليه . من مسكن وملبس وغذاء ودواء . بل من رجال ونساء . فإنا قد خلقنا منها (ومن آياته أن خلقكم من تراب . ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) فكم يكون دهشك إذا قارنت ذلك كله وأضعافه . وأضعاف أضعافه . إلى حالتها الأولى عندما كانت كتلة نارية ؟ وهل يشتمل الشيء على ضده ؟ وهل يكمن فيه ما يبانيه ؟ وهل يكون من عناصره ما يتنافى وحقيقته ؟ وماذا عسى أن تكون تلك النار التي اشتملت على تلك العجائب والأسرار ؟ حتى أصبحنا نطلب منها ما نأكل وما نشرب . وما نلبس وما نسكن وما ننكح الخ؟ فسبحان من لا يعرف قدره غيره . ولا يبلغ الواصفون صفته ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنْ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ ﴾[1] .

(١) سورة الأنعام الآية ٩٥ .

واسمعوا بعد هذا كله صغيرة من السلسلة الحيوانية التي تبتدئ بتلك المكروبات المتناهية في الصغر .

فذكروا إن آلاف الآلاف منها تعيش في نقطة ماء صغيرة . وتنمو هناك وتتكاثر وتموت وتعيش . كما تعيش حيوانات البر في القفار. ويقولون إن هذه الحيوانات لا يساوي هيكل الواحد منها جزءا من ١٨٧ مليوناً من جزء من القمحة . ومع هذا الصغر المتناهي لهذه الحيوانات كان لكل حيوان منها ما يهضم به طعامه ، وما تتم به حياته من الأعضاء الباطنة والظاهرة . فإذا تناهى الحيوان في الصغر فماذا عسى أن تكون تلك الأعضاء ؟ وقد كنا نمثل بالذرة لأصغر الأشياء ونؤمن تقليدا للقرآن بأن هناك أشياء أصغر من الذرة . حيث أشار إليه في بعض آياته .

ونقول ليتنا نعرف ما هي تلك الأشياء التي تكون أصغر من الذرة . فإن الله يقول في بيان سعة علمه المحيط بكل شيء ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١] حتى أبانت لنا الاكتشافات الحديثة أمر المكروبات في صغرها وأسمعتنا غريب حديثها . فقلنا عن عيان ووجدان . صدق الله العظـــيم حيث يقول ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[٢]، ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٣] .

(١) سورة يونس الآية ٦١ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
(٣) سورة فصلت الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

ثم نترقى في سلسلة الحيوانات من تلك الحيوانات الدنيا إلى أن نصل إلى نوع الحيوانات العليا كالفيل . بل إلى ما هو أعظم من الفيل مثل الهيشة التي تزيد على الفيل خمس مرات . ثم من حيوانات البحر ما يكبر جدا حتى يظن أنه جزيرة في البحر .

فانظر رعاك الله إلى هذه السلسلة العجيبة التي لا تتقيد بقيد ولا تنضبط بحال . فإن قلنا : لابد لها من فقار كالبقر والطير والضفادع والسمك . ينقضه أننا وجدنا الحياة بلا فقار فيما هو أسفل منها كالعنكبوت والحشرات الدنيا . وإن قلنا إن الحياة لابد فيها من قشور في ظاهر الحيوان رأينا الحيوانات الهلامية لا قشور فيها . وإن قلنا أنه لابد من رؤوس . كذبتنا الحيوانات التي ليس لها رؤوس . وإن قلنا أنه لابد أن يكون الحيوان صلب الجسم . ورد علينا النقاعيات والاسفنجيات . إلى آخر ما لا يمكننا شرحه . ولا استقصاؤه .

فها أنت ذا : ترى الحياة عامة شاملة لا تتوقف على حال من الأحوال . فلا يصد عنها بر ولا بحر ولا هواء : ولا رخاوة في الجسم . ولا عدم الرأس . ولا فقد الفقرات . ولا قلة الحواس .

ثم انظر بعد هذا تجد حيوانات يقتلها الأكسوجين . وتعيش تحت التراب . أو نقول لا يمكنها أن تعيش في الهواء الخالص . وحيوانات لا تعيش إلا في الهواء كالطيور . وحيوانات لا تعيش إلا في البر كالإنسان . وأخرى لا تعيش إلا في الماء كالأسماك .

سبحان القادر على كل شيء . خلق كل شيء فقدره تقديراً . وأحسن كل شيء خلقه . وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(١)، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾(٢)، سبحانك لا نحصى ثناء عليك . أنت كما أثنيت على نفسك وإن شئت فقل: أقر بذلك كله . وانظر إلى نفسك وما فيها من عجائب الصنع وبدائع الخلقة . وما اشتملت عليه من الأسرار الظاهرة والباطنة . وقد قالوا قديما (نظرك فيك يكفيك) . وإذا دخلنا في عالم الإنسان وجدنا أمراً عظيما وعالما كبيرا . ولنقل فيه كلمة إجمالية جدا .

الإنسان : إن في الجسم الإنساني أكثر من مائتي عظمة . ولكل منها شكل مخصوص . يناسب مانيط به وما خلق لأجله . ولولا ذلك لتعطلت حركاتنا التي نأتيها كل وقت وساعة . ثم انظر كيف خلق لك الكبد والمعدة والرئتين . والكليتين الخ الخ . وكيف ناط كل واحد منها بعمل مخصوص ثم أوجد لك الفم . وأنبت فيه الأسنان المختلفة ليقع بها الهضم الأول . ثم جعل لك غطاء يغطي مجرى النفس عند البلع وجعل لك مجرى مخصوصا للطعام والشراب وآخر للنفس . وجعل للمعدة بابين للدخول والخروج . وأمعاء دقيقة . وأمعاء غليظة . ثم جعل سبيلين بعد ذلك لإخراج الفضلات التي لو بقيت في الإنسان لهلكته . ثم انظر بعد ذلك . إلى

(١) سورة الملك الآيتان ٣ ، ٥ .
(٢) سورة الزمر الآية ٦٧.

ما فيك من المفاصل وتركيبها العجيب ولولا ذلك لاختلت أحوالك . ووقفت أعمالك . وكنت إذا أردت أن تنام وقعت على الأرض وقعة واحدة كالشجرة حين تقع . أو الحائط عندما تسقط . ثم انظر إلى العين وتركيبها الذي يدهش الأنظار ويحير الأفكار . فانظر إلى ما اختير لها من وضعها في الحجاج[1] وجعلها أمام البدن لتكون حارسة للأعضاء الشريفة التي غطاؤها ضعيف . كالبطن والوجه إلى أسرار أخرى . لا يحيط بها إلا خالقها .

وأيضاً الأعضاء الخارجية كاليدين والرجلين من الأمام . فتكون العين مشاهدة لأعمالها . وماذا يكون الحال لو وضعها في رأسك أو في رجلك ؟

ثم انظر كيف كان الجفن يمنع الأذى عن العين والضوء عند الأقفال . والأهداب تمنع الغبار . وتدخل الضوء عند الحاجة إليه كما في أوقات هبوب الرياح . وقد قال بعض الفلاسفة (يكفيني هدب العين في الدلالة على الله) .

ثم انظر كيف ركبت العين من ست طبقات بديعة الصنع غريبة الترتيب . وهي القرنية والعنبية . والعنكبوتية والشبكية . والمشيمية والصلبة . ولهذا شرح طويل لا يسعه هذا الدرس .

ثم انظر كيف جعل داخل الأنف مصفاة تقيك ما عسى أن يكون من غبار يعكر صفوك . ويكدر منك أنفاسك . ولا يمكننا أن نسير بك في بحر تلك العجائب التي لا يدري الناظر فيها أيها

(١) يطلق الحجاج بكسر الحاء على التجويف الذي به العين بالوجه .

أعجب . ولو شرحت لك عجائب الأذن لكان عجبك أكثر ودهشك أشد .

وانظر إلى ما هو أدق من هذا . تجد الخالق الحكيم . قد جعل لأجل وصول الأصوات إليك عجائب وغرائب من صيوان وصمغ وطبلة . وثلاث عظيمات . ودهليز . وقنوات هلالية . وأخرى قوقعية . وسائل . ورملات حافظات للصوت . وعصى وشعيرات في القوقعة . وأعصاب سمعية . إلى آخر ما لا يمكننا تفصيله . والعين في تركيبها وطبقاتها عجيبة وفائدة كل طبقة منها أعجب وأغرب . فسبحان الحكيم العليم . القادر العظيم . وهي أمور لا يسعنا إلا الألماع إليها والدلالة عليها . أما تفصيلها فلا تفي به المجلدات . والعلوم على كثرتها . والكتب على تنوع ما فيها . من يوم خلق الله العالم إلى أن تقوم الساعة . والمكتشفات التي برز فيها المبرزون ليست إلا قليلا من قليل وسيرون من آيات الله أكثر مما يتخيلون .

هل كل ذلك إلا شرح لتلك العوالم التي أشارت إليها الآية الكريمة ؟ ولو ذكرنا لك ما للكرات البيضاء والحمراء من الوظائف وما يذكرونه الآن عن الغدد . التي اكتشفوها حديثاً وما لها من الوظائف التي هي أعجب من كل عجيب . لطال القول واتسع المجال .

ولو ذكرنا ما وراء ذلك من أسرارك الباطنة . كالشعور الإدراك والتذكر والتخيل إلى غير ذلك . لوقعنا من الروحانيات في

بحر لا يعرف له ساحل . ولا يدرك له قرار ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[1] .

ولنعد إلى موضوع الآية فنقول (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما وكون كل منهما خلفا للآخر . واختلاف كل منهما في نفسه ازديادا وانتقاصا . أو ظلمة أو نوراً .

هنا أمور ثلاثة ينبغي التنبيه إليها :

١ ــ إذا نظرت إلى النهار والليل في الطبيعة كلها وجدتهما يتساويان أي أن ساعات أحدهما في السنة تساوي ساعات الآخر .

٢ ــ اختلاف الليل والنهار بقرب الشمس وبعدها في البروج الشمالية والجنوبية . يدعو إلى اختلاف الحرارة والبرودة وهبوب الرياح في الأقطار المتنائية . فترى الأمطار تتساقط من السماء تبعا لنواميس الحرارة والبرودة المسخرين لدوران الأفلاك أو الأرض في مدارها وسير الشمس في البروج . وبذلك الترتيب البديع . تنشأ ممالك النبات والحيوان والإنسان .

أما الرياح فتهب فتسير السفن كما تسير السحب . فلا يتحرك السحاب إلا بالرياح . وهي المسخرة بالحرارة المنبعثة من الإجرام العلوية .

ولا شك أن هذا العالم على هذا النسق يحتاج أدناه إلى أعلاه فالأعلى مفيد للأسفل . والأسفل مستمد من الأعلى . ومستفيد منه .

---

(١) سورة الزخرف الآية ٤٨.

وعليه أصبح العالم كجسم واحد وما دورة المياه والرياح المسخرات ، ودورة الشموس أو الأقمار . إلا كدورة الدم في أجسامنا . ولا جرم أن الجسم الواحد مدبره واحد . فارتباط العوالم واستمدادها يدل دلالة واضحة على أن مدبرها واحد . لا شريك له. وقد جعل الحكماء من أدلة التوحيد وحدة النظام (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (وإذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) .

٣ ــ لو جعل الله الأرض على غاية القرب من الشمس لم يعش عليها نبات ولا حيوان . فإنها على ذلك القرب تكون قطعة من جهنم . ولو جعلها على غاية البعد . لم يعش عليها نبات ولا حيوان . لأن الشمس ضرورية للحيوان والنبات .

فانظر إلى تلك الحكمة الباهرة وهذه النعمة الظاهرة .

وإذا نظرت إلى أن الأرض كانت جزءاً من الشمس . ثم انفصلت عنها على ما يقررونه الآن . أخذ منك العجب كل مأخذ من تلك الأرض التي أودع الله فيها بذور الحياة لكل نبات وحيوان وإنسان . مع كونها قطعة من الشمس التي هي نار ملتهبة ــ وليت شعري ما للنار وبذور الحياة ؟ ثم جعلها مخزنا لكل ما تريد . فسبحان من جعلها كنزا ثميناً نستخرج منه كل ما نحتاج إليه من الدواء . والغذاء والفواكه الشهية . والرياض البهية . وكل ما نشاء (حتى الرجال والنساء) لأن النطفة من الغذاء . والغذاء من النبات. والنبات من الأرض ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا

أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[١] أليس من العجب العاجب . أن تكون في الأرض هذه العجائب كلها التي لا يعرف لها أول ولا آخرا ؟ (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) من التجارات المختلفة والمنافع المتبادلة . والمعاملات المتواصلة بين الأمم والشعوب . فيأخذ الشرقي ما نبت في الغرب . ويأخذ الغربي ما نبت في الشرق . فيحصل بذلك أمران جليلان : الأول دنيوي ينتفع به الشرقي في وسائل دنياه إن نقصت عنده الوسائل . والثاني أخروي وهو تحبيب الغربيين وتقريبهم من الدين الإسلامي . فيدخلون فيه من أنفسهم بعد الاقتناع بأنه دين المعاملة الحقة . والسعادة الأبدية . فتتسع دولة الإسلام . وتكون كلمة الله هي العليا والفلك يستعمل مفردا كقوله تعالى (في الفلك المشحون) ويستعمل جمعاً كما في قوله تعالى (في الفلك وجرين بهم) .

أما الاستدلال به فمن حيث إنه إلهام . صنعته من الله تعالى . وهداية الإنسان الأول إليه . وكذلك العلم بكيفية أجزائه وتسخير الريح وفعل الإنسان فيه وفي البحر . كله مخلوق لله تعالى . وسبب للإطلاع على البحر وعجائبه . وما فيه من بديع المخلوقات . على اختلاف أشكالها وألوانها وأحجامها . وهو عالم من العوالم كبير . لا يحيط به إلا خالقه . سبحانه من حكيم عليم قاهر قدير[٢].... الخ ما ذكره الشيخ الجليل .

---

(١) سورة الروم الآية ٢٠.
(٢) مختارات من تفسير جواهر التنزيل للشيخ يوسف الدجوي ص ٢٦ ــ ٣٥ .

المبحث الثاني

الجوانب الإبداعية في تفسيره

١ ــ الإعجاز العلمي للقرآن الكريم :

وأولى هذه الجوانب بيانه للإعجاز العلمي للقرآن الكريم[١] في أكثر من موضع في تفسيره ، وإنما عددنا هذا جانبا إبداعياً لأنه بالنسبة إلى عصر الشيخ لم يكن شائعاً شيوعه الآن برغم أنه مبثوث في كتب المفسرين الأقدمين كالفخر الرازي وأضرابه من كبار المفسرين ... ونطل في السطور التالية على حديث الشيخ في هذا الجانب ، جانب الإعجاز العلمي للقرآن .

فيقول الشيخ رحمه الله تعالى :

تضافرت البراهين الحسية والعلمية والتجريبية على صدق الدين الإسلامي فيما جاء به حتى في أشد المسائل بعدا عن المحسوس. وأعظمها إنكارا لدي العصور السابقة فقد كانوا يهزأون بما جاء به الإسلام من فناء العالم. وذهاب النيرات وطي السموات.

---

(١) فرق بين التفسير العلمي للقرآن والإعجاز العلمي للقرآن ، فالأول رفضه العلماء لأنه يُخضع النص ويلويه ليتوافق مع الكشف العلمي ــ الذي قد يصدق وقد يكذب ــ بخلاف الإعجاز العلمي وهو الذي يظهر أن الحقيقة العلمية المتفق عليها الواضحة للجميع قد أخبر بها القرآن وأرشد إليها من قرون ... وهو مظهر من مظاهر الدعوة إلى الإسلام مع غير المسلمين ومن أبرز الكتب التي ولجت هذا الباب كتاب (الإسلام يتحدى) للعالم الهندي المسلم وحيد الدين خان .

حتى أثبتت لهم الاكتشافات الحديثة أن العالم العلوي المرئي مركب من نحو أجزاء هذا العالم مثل البوتاسا التي اكتشفوا إنها داخلة في عناصر الشمس . وتبين لهم أن حرارة الشمس تتناقص شيئاً فشيئاً . وأن نواميس هذا الكون السفلى سائدة أيضاً على تلك العوالم العلوية. وإن كان هناك فرق بينهما . وقد سبق لك أن الإسلام دين تخدمه العلوم الطبيعية على غير علم من ذويها . بل أقص عليك ما يزيدك في أمر هذا الدين عجباً . ويملأ قلبك منه روعة . وهو أن المسلمين أنفسهم لم يعرفوا مغزى كثير من نصوصهم القرآنية إلا بفضل تقدم العلوم الطبيعية مثل تلقيح الرياح للأشجار . الذي لم يكتشف إلا منذ عهد قريب . وقد نص عليه كتاب ذلك النبي الأمي منذ ثلاثة عشر قرنا في قوله ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[١] فكنا نفسره على حسب ما يقتضيه استعدادنا وعلوم عصورنا الماضية . حتى جاءت الإكتشافات الحديثة فعرفتنا ما يرمى إليه الكتاب العزيز. وكان آية من آياته ، وكذلك ما كان يقول منذ ذلك الزمان (وأنبتنا فيها) أي الأرض ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٢] ويقول ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [٣] ويقول ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤] وكان يفسره المفسرون حسب استعدادهم وما هدتهم إليه أبصارهم وعلومهم حتى أبانت لنا العلوم الطبيعية أن في كل نبات ذكرا وأنثى

(١) سورة الحجر الآية ٢٢.
(٢) سورة ق الآية ٧.
(٣) سورة الذاريات الآية ٤٩.
(٤) سورة يس الآية ٣٦ .

فعلمنا بذلك سر هذه الآيات ومغزاها وكان كثير منا يفهم في مثل قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) أن هذا ضرب من التمثيل ونوع من المجاز . حتى أبان لنا علماء الحيوان شيئا كثيراً من أعاجيب النمل . فعلمنا أن الآية على حقيقتها بشهادة العلم ، بل رأينا في القرآن أبلغ شيء في هذا الموضوع مما دهش له علماء أوربا . حتى قال بعض المتعربين ليس هناك ما يبين رفعة شأن الحيوانات مثل قول القرآن﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (٢) .

وكذلك لم نكن ندري أي خطر للشعري حين يقول القرآن في معرض الثناء عليه تعالى ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ (٣) حتى أبانت لنا الاكتشافات الحديثة أن الشمس أكبر من الأرض بما يزيد على ألف ألف وثلثمائة ألف . وأن الشعري أكبر من الشمس بأضعاف مضاعفة . وأن نور الشمس جزء من خمسين جزءا من نور الشعري . فنضر الله العلوم الطبيعية التي عضدت الإسلام وعضدها الإسلام . وليت شعري ما وراء ذلك . ألا أن في الأرواح نزوعا إلى ذلك البحر الذي تسمع عجيجه ولا تراه .

هذا وهناك مسائل فلكية وطبية وجغرافية عرفت حقائقها وما أراد منها القرآن بفضل تقدم العلوم الطبيعية . وشأنه في المسائل

(١) سورة النمل الآية ١٨.
(٢) سورة الأنعام الآية ٣٨.
(٣) سورة النجم الآية ٤٩ .

الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية لا يقل عن ذلك في انتصار المباحث العلمية له وتأييد الفلسفة الحديثة إياه (فلماذا لا تقول بعد ذلك إن الإسلام دين تخدمه العلوم الطبيعية على غير علم من ذويها) .

كانوا يهزؤون بما جاء في الدين الإسلامي من الحياة الأخرى وما يذكر فيه من الروحانيات وإثبات عوالم أخرى غير العوالم المحسوسة . ويعدون ذلك من الخرافات حتى بدا لهم شعاع ضئيل من نور شمس ذلك العالم باستحضار الأرواح الذي أصبح الآن لمس اليد ورأى العين فعرفوا أن ذلك التخريف كان منهم لا من الدين . وأيقنوا بما قال القرآن (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وعرفوا بما شاهدوه من أفاعيل الأرواح التي خرقت لهم كل نواميس المادة سراً من قوله تعالى ﴿ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [1] ومن تلك الاكتشافات التي أيدت الإسلام غير ما تقدم . النهي عن استعمال الماء المشمس في أناء من نحاس في بلد حار . ومن ذلك ما ورد في بعض الروايات الإسلامية من أن أكل الملح قبل الطعام نافع من سبعين داءً . وقد أخبرني بعض الأطباء أنه كان ينكر ذلك كل الإنكار حتى رأى في بعض المجلات الطبية ذلك الاكتشاف الذي يقول صاحبه . أن مصل الملح نافع من كل داء فآمن وصدق[2] ومن ذلك ما عرف

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
(٢) كيفية عمل ذلك المصل أن يؤخذ ثمانية جرامات من الملح وتجعل في الف جرام من الماء ثم يحقن بها تحت الجلد . وكثيرا ما يحقنون بالماء المالح بدل ذلك المصل .

من أسرار الوضوء وأنه ينفع من أمراض الأسنان والأنف . بل هو من أهم الموانع للسل الرئوي (إذ قال بعض الأطباء أن أهم طريق لهذا المرض الفتاك إنما هو الأنف) وإن أنوفا تغسل في النهار خمس عشرة مرة لجديرة بأن لا تبقى فيها جراثيم هذا الداء الوبيل ، ولذا كان هذا المرض في المسلمين قليلا وفي الأفرنج كثيرا فضلا عما فيه من الفوائد الأخرى . ومما يلتحق بذلك ما بينه القرآن من أن الناس كلهم خلقوا من تراب في وقت كانت تلك الحقيقة فيه مجهولة كل الجهل حيث يقول ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾[1] وقد أصبح الآن ذلك واضحا لا يتمارى فيه . فإن النطفة من الأغذية وهي من الحيوانات المتولدة من النبات أو النبات المتولد من الأرض . وبهذا لا نحتاج إلى تقدير المضاف في الآية . أي خلق أباكم كما يقوله كثير من المفسرين . ومن ذلك ما أخبرني به بعضهم أن بعض الأوربيين قد اعتنق الإسلام لما وجده من وصف القرآن للبحر وصفا شافيا مع كون النبي ﷺ لم يركب البحر طول عمره . وذلك مثل قوله تعالى ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[2] .

ومما يحسن ذكره في هذا المقام أن القرآن يقول (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) وقد عرف الآن أن الثلوج تكون جبالا على وجه الماء وهي التي يسمونها (آثر برج) وهي كلمة ألمانية . ومعناها جبل من الثلج . وقد حدث في سنة ١٩١٢ أن

(١) سورة الروم الآية ٢٠ .
(٢) سورة النور الآية ٤٠ .

اصطدمت بجبل من تلك الجبال التي كانت تسير على وجه المحيط الاطلانطيقي أكبر باخرة في العالم وهي التي تسمى (تيتانيك) التابعة لشركة (ربث سنار لابن) أثناء سفرها لأول مرة من انجلترا إلى أمريكا وكانت حمولتها ٤٦٠٠٠ طن وكان عدد الركاب بتلك الباخرة التي صدمها ذلك الجبل الهائل الذي لم تقاومه قوتها وصلابتها وهي أعظم باخرة في العالم كما قلنا لا يقل عن ٢٥٠٠ شخص فسبحان الواحد القهار[١] . ومن ذلك قوله تعالى ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[٢] وقد علم القرآن إن الإنسان في تجدد دائما وأن الجسم يذهب كله ويجئ غيره كل مدة من الزمان ولا يزال فيه التحليل والتعويض على الدوام . ومن ذلك ما أخبر الله به من تعذيب اليهود وبقائهم تحت حكم غيرهم في الأسر والاستعباد حيث يقول ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [٣]، فقد تشتتوا في أقطار العالم وعذبهم الفرنسيون في الجزائر وغيرها وطردهم الروس وهم محتقرون في كل دولة . وفي القرآن من الأخبار بالمغيبات شيء كثير جداً . مثل قوله تعالى ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [٤] ، ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[٥] ، ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ [٦] ، ﴿ وَهُمْ

(١) ذكر ذلك البرنس محمد علي في رحلته إلى أمريكا وقد ذكرته الجرائد في حينه .
(٢) سورة ق الآية ١٥ .
(٣) سورة الأعراف الآية ١٦٧ .
(٤) سورة القمر الآية ٤٥ .
(٥) سورة البقرة الآية ٩٥ .
(٦) سورة الفتح الآية ٢٧ .

مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [١] ، ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ ﴾ [٢] .
وقد أرتنا الاكتشافات الحديثة من عجائب الأرض والسماء ما لم يكن في حسبان كما أخبرنا القرآن .. وقد جاء في السنة النبوية من الأخبار عن المغيبات أيضا ما لا يكاد يحصى مما لا يسعه المقام . وهو غير خاف على من طالع كتب دلائل النبوة مثل كتاب حجة الله على العالمين وغيره . هذا وقد أثنى كثير من فلاسفة الأوربيين على الدين الإسلامي وما جاء فيه (انظر كتابنا الجواب المنيف) [٣] ومن ذلك ما قاله بنتام الانكليزي الشهير وهو من أكابر علمائهم مبينا بعض أسرار الطهارة في الدين الإسلامي قال (من واظب على أغسال الدين الإسلامي لم يصدر منه ذنب ولا جريمة) وناهيك أن هناك جمعية كبرى قامت تؤسس ديانة سموها الديانة الطبيعية كل أسسها مأخوذة من الدين الإسلامي. بل جاء بأتم منها وأوسع بما لا يقدر قدره . وينبغي أن يلتحق بهذا الفصل ما يصح حمل القرآن عليه . أو استنباط إشارة منه إليه في آيات كثيرة . فمن ذلك ما يأخذه بعضهم من الإشارة إلى دوران الأرض من قوله تعالى ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٤] بعد ذكر الشمس والقمر ولذلك أتى بواو الجمع . وعلى الجملة فالقرآن لا يصادم شيئا أثبته العلم الصحيح . بل كثيرا ما يكون فيه إشارة إليه . أو على الأقل يكون

(١) سورة الروم الآية ٣ .
(٢) سورة فصلت الآية ٥٣ .
(٣) الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف يقع في مائتين وسبعين صفحة مطبوع.
(٤) سورة يس الآية ٤٠ .

قابلا له غير متعاص عليه . ومن ذلك ما قلناه في بعض ما كتبناه أن قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) بعد قوله (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) إشارة إلى المطاود (المناطيد الهوائية) ويكون الضمير في قوله لهم على هذا عائدا على الذرية كما هو الظاهر منه. ويمكن أخذ المطاود والسيارات الكهربائية والجوالات (الاتوموبيلات) من قوله ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[1] فإن ما لا يعلمون بعد ذكر الخيل والحمير يشمل هذه وكل ما يأتي مما يؤدي المقصود منها . واستلفت نظرك إلى حكمة ذكرها بعد الخيل والبغال كما أنه يسهل عليك أن تستدل على أن الأرض جزء من الشمس كما يقول الفلكيون الآن بقوله تعالى ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[2] أو أن تستدل على أن السموات كانت كتلة واحدة من السديم (وهو نوع من الدخان) بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾[3] ولسنا نريد أن هذا هو معنى القرآن على القطع بأن هذا لم يثبت عندهم على القطع . ولكنا نريد من إيراد ذلك وأشباهه أن القرآن لا يأبى شيئا يقرره العلم . أو يتعاصى على شيء يثبته البرهان حتى يكون عدواً للعلم كما يرميه بذلك كذبة المبشرين وجهلة المسيحيين الذين لا يعرفون الإسلام وإنما يعرفون المسلمين .

---

(١) سورة النحل الآية ٨.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٠.
(٣) سورة فصلت الآية ١١.

هذا والموضوع مترامى الأطراف . بعيد المدى فيكفيك منه قطرات في طيها إشارات وبالله التوفيق[١].

٢ ــ شبهات وإجابات :

وثاني هذه الجوانب الإبداعية دحضه للشبهات العلمية على آيات القرآن الكريم .

فأورد أحد الملاحدة شبهة خبيثة على قوله تعالى ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ ﴾[٢] ، فأجاب الشيخ إجابة شافية كافية داحضة ، وهذا نص الشبهة ، وإجابة الشيخ عنها[٣] :

شبهة مُلحِد

ورد إلى مجلة الأزهر هذا الخطاب :

حضرة صاحب العزة مدير مجلة الأزهر الغراء :

أرجو تبليغ تلك الشبهة إلى صاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوي ونشر ذلك المقال بأول عدد يصدر من مجلتكم نظراً للأهمية :

يا صاحب الفضيلة : بينما أنا جالس في المسجد قرب صلاة العصر ، أعظ الحاضرين وأذكرهم بالكثير من أحكام الدين حسب

(١) رسائل السلام ص ٣٠ ــ ٣٩ .
(٢) سورة الروم الآية ١٩.
(٣) الفتاوى جـ ٢ ص ٣٥ - ٤٤.

قوتي ، إذ حضر رجل في أثناء ذلك وقال : أيها الشاب ! فسّر قول الله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ ﴾[1] فقلت له : يخرج الحي وهو الإنسان ، من الميت وهي النطفة ، فقال : أربك يكذب ؟ فقلت : حاش لله ، فقال : وما تعمل إذا ظهر كذب تفسير هذه الآية ؟ فقلت له : أنا رأيت ذلك التفسير في كتاب الجلالين وغيره من كتب التفسير ، فقال : ليس هذا بكلام الله وإنما هو من افتراء نبيكم محمد .

فاقشعرت يا صاحب الفضيلة أجسامنا عند سماع تلك الكلمة وهذه الإهانة لنبينا في أثناء وجودنا في بيت من بيوت ربنا ، وتصبب العرق من وجوهنا عند سماع تلك الإهانة من رجل كنا نعتقده حسب ادعائه مسلما .

وعمدنا إلى ضربه وأردنا إخراجه بالقوة من المسجد ، ولكن كان معه رجل آخر قال لنا انتظروا فسيفسر لكم أخي محمد تلك الآية تفسيراً متقنا ، وقال له : يا محمد قم وبين لهم هذه الآية فقال: إخواني : من منكم يخدم الإنسانية ويتبرع بإحضار نطفته ويأخذ مبلغ خمسين قرشا ، وأعطى ذلك المبلغ إلى رجل ، وقام الأخير وغاب مدة وجيزة وحضر بالنطفة فوضعها محمد هذا في كأس نظيف غسلناه بأيدينا وطهره بالكحول وأخرج من بين ملابسه منظاراً معظما ونظر النطفة في الكأس . ثم أخذنا المنظار ونظرنا فيه فوجدنا في الكأس دوداً يسبح في النطفة ، فدهشنا أي دهش عند سماعنا من هذا الملحد عبارات التكذيب لقانوننا السماوي .

---

(١) سورة الروم الآية ١٩.

والحق أن الحظ ساعده لعدم وجود أمثالكم بالمسجد حتى يفسر له الآية تفسيراً يلائم أفكاره ولم يعثر على مناقش أثناء ذلك إلا من طالب في الابتدائي بمعهد طنطا ، فتشكك الحاضرون في المسجد ، وعهدوا إلى أن أبلغ هذا الحادث إلى أكبر عالم يجيد الإفتاء ، فوقع اختيارنا على فضيلتكم نظراً لما عرفتم به من أصالة الرأي وحسن الدراية والقيام بالواجب نحو الإسلام ، فأرجو أن تتفضل بالرد في أول عدد يصدر من (مجلة الأزهر) والإسلام يا صاحب الفضيلة نرجوك الرد حالا .

(الجواب)

يحزننا كثيرا انتشار أولئك الملحدين الذين تزيوا بزي الإسلام وما هم منه في قليل ولا كثير ، وأكبر ظني أن هذا الغمر الوقح من المبشرين الذين افتنوا في وسائل التبشير ، وإن لم يكن منهم فهو صنيعتهم ، يحزننا أن يعيثوا في الأرض فسادا بلا زاجر من حياء ولا احترام للأمة التي يعيشون بين أظهرها ، ولا خوف من الحكومة التي دينها الإسلام .

وإني أعتب كل العتب على أولئك المسلمين الذين كانوا مجتمعين عندما قال كلمته الشنعاء أمامهم ، محتقراً إياهم ، هازئاً بدينهم مكذباً لنبيهم ، ولو كان للدين في تلك النفوس الضعيفة الخوارة ما للوطنية أو الحزبية ، لكان منهم ما يقمع أمثال أولئك المارقين الذين أصبحوا يهاجمونهم في مساجدهم طمعاً فيهم واستهانة بهم ، مع أن القانون يحظر ذلك ويعاقب عليه لو ابلغوا

ذلك لأولى الأمر ، ولكن ما تفعل القوانين إذا فسدت النفوس ، وضعفت القلوب ، وقصرت العقول ، وتفككت عرا الوحدة الإسلامية ! ولعمر الله لقد ذهب أولئك الذين يحبهم الله ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، وخلف من بعدهم خلف كغثاء السيل أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين ! ولندع هذا كله آسفين باكين :

وليل طال بالأنكاد حتـــــى ظننت الليل ليس له نهار

لمَ لا ؟ والتقي حلت عــراه وبان على بنيه الانكسار

لتبك معي على الدين البواكي فقد أظهرت مواطنه القفار

ولنشرع في الجواب مستعينين بالله فنقول : إن هذا الملحد من أجهل الجاهلين ، فإن الحي لابد أن يخرج من الميت بالبرهان العقلي ، لأن أول حي قد خرج من الميت لا محالة ، وإلا لم يكن أول حي وقد فرضناه أول حي (هذا خلف) . أو نقول : لو كان كل حي خارجا من حي للزم الدور أو التسلسل ، وهما محالان كما هو معروف .

وقد كان ذلك العالم الطبيعي الذي يقول : إن الحياة فلتة من فلتات الطبيعة ، ولابد أن يرد الحي إلى أصله الميت ، أعقل من هذا الأحمق، فإنه لم يسهل عليه أن يقول بالتسلسل إلى غير النهاية، بل جعل لها أولا هو ذلك الأصل الميت ، فلم يقل بالتسلسل غير المعقول ، وإن كان ما قاله أيضاً فلتة من فلتات العلم .

ثم نقول : إن صح ما زعمه هذا الملحد في الإنسان " مع أنه غير صحيح في الإنسان الأول كما عرفت . ولا في الإنسان المتولد من النطفة كما ستعرف ، فماذا يصنع في حبة القمح أو نواة النخلة والنخل أقرب أنواع النبات إلى الحيوان ، بل كاد يصل على أُفقه فهل يقول : إن فيها شيئاً حياً يرى بالميكرسكوب فيه خصائص الحياة ومميزاتها ؟ وإني أخشى أن يقول كما قال بعضهم : إن الحبة أو النواة حية بالقوة ، فليعلم هو وأمثاله أن معنى الحياة بالقوة هو الاستعداد للحياة ، وأن الحي بالقوة ميت بالفعل كما قرره العلماء وأن الاستعداد للشيء والإعداد له ينتهيان بوجود ذلك الشيء ، فهذا طور وذاك طور آخر .

ومن الذي تشتبه عليه الوسيلة بالغاية والمقدمة بالنتيجة ؟ فهذا ما يقرره العلم ويقتضيه العقل ، فلا بقاء للوسيلة مع الغاية ، ولا وجود للغاية مع الوسيلة ، فإن قال : إن النواة مستعدة للحياة التي ستحلها وتخرج منها شجرة حية وثمرة شهية : كان ذلك صحيحا ، وليست تحل الحياة إلا فيما هو مهيأ لها ومستعد لظهور آثارها . وإن قال : إن النواة حية أو فيها شيء حي بالفعل ، كان ذلك جهلا وكذبا .

ثم نقول بعد ذلك : إن ما زعمه من أن الإنسان هو من الحيوان المنوي الحي الذي يرى في مني الرجل . باطل من وجوه عديدة :

أولا : أن ذلك الحيوان الذي اغتر به لابد أن يرجع إلى أصل ميت ، وإلا لزم الدور أو التسلسل كما قلت .

ثانيا : أن هذا الحيوان لابد أن يموت قبل خلق الإنسان ، فالإنسان إذا ما خرج إلا من ميت ؛ وذلك أنهم صرحوا بأن التلقيح إنما يكون برأس الحيوان فقط، وهو لا يبقى حياً عند انفصال رأسه، فسنة الحيوان جارية فيه ، فمتى انفصل رأسه مات ، وقد حصل المقصود من حياته وحركته وهو الوصول إلى البويضة التي يلقحها ذلك الرأس عند وصوله إليها .

ثالثا : أنه يمتزج بهذه البيضة امتزاجاً يجعلهما شيئاً واحدا ، فلا معنى لبقائه حياً تلك الحياة الحيوانية مع هذا الامتزاج والاتحاد.

رابعا : أن هذه البيضة قد يتولد منها جنينان أو أكثر ، والمرأة لا تفرز إلا بيضة واحدة في كل شهر ، والمعروف أن التلقيح إنما يكون بحيوان واحد ، وقد صرح بذلك بعض الاختصاصيين ، فكيف يكون الحيوان حياً باقياً على حالته المرئية التي شبه بها الملحد على الناس ، ثم يتولد منه جنينان أو أكثر ؟ وكأن ذلك الجاهل يظن أن هذا الحيوان المنوي قد كبر ونما حتى صار إنسانا، وما أجهل من يظن ذلك وما أغباه !

خامسا : على أن الإنسان لم يخلق من هذا الحيوان فقط ، بل خلق من أشياء كثيرة ، وتغذى بأشياء كثيرة يعسر تبينها على الحقيقة ، وقد قال بعضهم : إن علم الأجنة لا يزال جنيناً حتى الآن، ولا يزال سبب انقطاع الحيض زمن الحمل مجهولا . وإن كانوا

يتكلمون في غايته لا في سببه ، ولذلك ترى كثيراً منهم يعدون الثديين من أعضاء التناسل ، ويقولون : إذا قطع ثديا المرأة لم تلد ، ولا يستطيعون أن يعللوا ذلك تعليلاً شافيا ، إلى غير ذلك مما لا يمكننا شرحه ولا الإفاضة فيه ، فليرجع إلى الاختصاصيين المبرزين في هذا .

فإن اعتبر الاستعداد للحياة والتهيؤ لها حياة ، كان الخلاف بيننا وبينه لفظيا ، وكذلك النمو الانقسام ، فإننا لا نعتبر الحياة إلا بالحس والحركة ، ولا فرق عندنا بين كلمة حي وكلمة حيوان ، والحيوان هو الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة ، فإن اعتبر الحياة أوسع من ذلك كان اصطلاحا ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، فيكون الخلاف بيننا وبينه في العبارة لا غير .

وإن شئت قلت : إنها حياة تشبه حياة النبات ، ونحن نريد الحياة الحيوانية لا النباتية ، ولو أخرج الله من الشجرة إنسانا لقلنا إنه أخرج الحي من الميت ، وليس يقل ما بين الإنسان والشجر من الفرق عما بين الشجر والحجر من الفرق، وقد رأينا المعادن تتربى وتنمو في بطن الأرض ولها مدد مختلفة في نموها وتربيتها ، فالملح والشب والكبريت لا تحتاج إلا لمدة سنة أو أقل ، والحديد والرصاص والفضة تحتاج إلى مدة طويلة ، والعقيق والياقوت يحتاجان إلى مدة أطول من ذلك كله ، مع أنها لا تعتبر أحياء بذلك النمو ، فإن قالوا : إن هذه حياة ، كانت تسمية اصطلاحية ، وكلامنا معهم في معان لا في ألفاظ .

وبعد فالأمر واضح لا مرية فيه ، ولكنهم يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون ، اللهم فانصر دينك ، وقو حزبك ، واكبت أعداءك الضالين المضلين ، فإنك على ذلك قدير ! اللهم إنا نعلم أن ذلك لا يضرك شيئا ، ولكن نسألك أن تخذلهم بقوتك القاهرة رحمة بنا يا أرحم الراحمين !

الخلاصة :

١ ــ والخلاصة أن لك أن تقول : إن المراد الحي الأول ، والحي الأول خارج من الميت لا محالة ، ولابد أن تنتهي الأحياء ، وإلا لزم الدور أو التسلسل .

٢ ــ ولك أن تقول : إذا شاهدنا الحيوان المنوي في المني فإننا لم نشاهد شيئاً حياً في النواة مع خروج النخلة منها : وهم يعترفون بحياتها لا محالة ، فقد خرج الحي من الميت لا محالة .

٣ ــ ولك أن تقول : إن المراد في الآية الإنسان المتولد من النطفة ، وما تخلّق الإنسان من ذلك الحيوان المنوي إلا بعد انفصال رأسه وامتزاجه بالبيضة . فهو إذ ذاك ليس حيا . فما خرج الإنسان إلا من شيء ميت .

٤ ــ ولك أن تقول : إن الإنسان قد تخلق من أشياء كثيرة من الأب والأم بل غالب تغذيته وتكونه من الأم بواسطة أشياء عديدة . ومنها دم الحيض . وهذه الأشياء التي تكون منها ليست حيوانات بالضرورة ، فإذا يكون قد خرج الحي من الميت ، فإن هذه أشياء ميتة لا محالة .

٥ ــ أو تنزلنا غاية التنزل وقلنا : إنه خلق من ذلك الحيوان ، وإن الحيوان لم يمت وإنه ليس هناك أشياء ميتة أخرى يخلق منها الإنسان ، لو قلنا ذلك كله وافترضنا صحته مع أنه غير صحيح ، لكان ذلك الحيوان نفسه خارجاً من الميت لا محالة ، فإنه متخلق من الأغذية الميتة لا محالة ، أو راجع إلى أصل ميت لا محالة .

ولنقتصر على هذا ، وقد فرغنا من الإيمان بصدق الرسول وعصمته التي قامت عليها الآيات البينات والبراهين الواضحات ﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (١).

وطالما سمعنا أمثال هذه الترهات والتمويهات . فلما عرضناها على محك النظر الصحيح وجدناها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

وكثير من الناس عندنا لم يأخذوا من العلم إلا قشوره ، ولا من الأشياء إلا ظواهرها ، بلا بحث ولا تمحيص ، فهم يتبعون كل ناعق ، ويسيرون وراء كل داع ، ولو دعا إلى خيال أو خبال ! ولسنا في اضطرار بعد ما سمعت ذلك كله إلى أن نقول ما يقول بعض المجددين ، إن المراد بالحي : العالم ، أو الميت : الجاهل ، إلى أمثال تلك التأويلات التي هي شعبة من شعب المادية .

وبهذه المناسبة نقول لمن يريد من (مجلة الأزهر) أن تترك خطتها فتؤول ما ورد في الكتاب والسنة من النصوص الصريحة

(١) سورة الكهف الآية ٢٩ .

لأقل هيعة تسمعها ممن خرف في الغرب أو الشرق : لا سبيل إلى هذا ، والمجلة لا تنفك تصدع بالحق حتى يرجع الناس إلى دينهم الصحيح الذي بدله هؤلاء المتشدقون إتباعا لأهوائهم ، ومن اتبع هواه ضل عن سبيل الله وكل ميسر لما خلق له .

وما أنشئت المجلة إلا لمحاربة هؤلاء وأمثالهم ، فكيف توافق آراءهم أو تتابع أهواءهم ، وفي الحديث " لا تقوم الساعة حتى يتكلم الرويبضة"[1] وقد وطنا أنفسنا على ذلك عالمين به من يوم إنشاء المجلة ، ومحال أن يجتمع الضدان ، أو يتفق النقيضان ، فليكتب الجاهل ما شاء ، أو فليمدد بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟

وأكبر ظني أن هؤلاء لا يؤمنون بحياة الأنبياء ولا بما ورد في عالم البرزخ ، وإلا لم يكونوا عصريين ولا مجددين ، فإن أدعياء التجديد يخافون من الإنكار الصحيح فيدورون هذا الدوران .

وإني استحلفهم بشرفهم الذي زعموه لأنفسهم ، وحريتهم التي يتبجحون بها أن يصارحونا القول فيما يعتقدون من حقائق ما ورد في عالم البرزخ وعالم الآخرة ، حتى نشهد لهم بالشجاعة والصراحة ، وإلا فلا يغشوا الناس ولا يلبسوا عليهم بهذه الشقاشق الباطلة وذلك العلم المزيف ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2] .

---

(١) الرويبضة : الرجل التافة الحقير يتكلم في أمر العامة .
(٢) سورة غافر الآية ٥٦ .

وكذلك حينما كتب القسيس كولد يساك الإنجليزي كتابا بعنوان "هل من تحريف في الكتاب الشريف تصدى له الشيخ بكتاب "الجواب المنيف " ونجتزئ بعضاً من ذلك ، ففي فصل من فصول كتاب القسيس المشار إليه عن القراءات صدره بقوله : " قراءة أم تحريف فتصدى الشيخ بالرد المفصل فقال : فلنجعل الكلام في هذا الفصل في مقامات أربعة :

المقام الأول : في النظر في تلك القراءات من جهة العقل . والمقام الثاني : في النظر فيها من جهة النقل ، والمقام الثالث : في النظر في أن الكاتب هل أتى بدليل يثبت التحريف أم اشتبه عليه الحال وخانه الاستدلال . والمقام الرابع في الكلام على جزئيات عبارات الكاتب وما جاء فيها من التناقض والكذب وما دس فيها من المقاصد فيلزمك أن تصبر لتحقيق ذلك كله وإلا (فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح)

(المقام الأول) هل يمنع العقل من تعدد القراءات أم لا ؟ هذا المقام يحتاج منك إلى أن تنظر معى لحال الأمة العربية وما كانت عليه من شدة الأنفة وعظيم الحمية ومزيد الجهالة ثم تضم إلى ذلك اختلافها في اللغات وأن العربي يعسر عليه جدا أن يفارق لغته التي اعتادها ناشئا وشابا وكهلا ولم يعرف غيرها في أدوار حياته وتلتفت مع هذا إلى أن فهم المراد تماما إنما يكون بلغته ولا يسهل عليه بلغة أخرى وقد ذكروا في كتب العربية خلافا في أن العربي هل ينتقل عن لغته أو لا ينتقل فالهذيلي لا يمكنه أن يقول حتى

بالحاء بل يقلب الحاء عينا والأسدي لا يقول ترضى مثلا بفتح التاء بل بكسرها، والتميمي لا ينصب الخبر بما بل يرفعه ولا يخفف الهمزة بل يحققها، والقرشي بالعكس وهو خلاف مشهور. وعلى كل حال فانتقال العربي عن لغته متعسر أو متعذر مع كونه ربما أخل بفهم شيء من المراد فبديهي جدا أن الفهم والتفهيم يتوقفان على أن يتكلم المعلم والمتعلم بلغة واحدة وقد اعتنى الغربيون بإحياء لغاتهم في مستعمراتهم وغيرها ويرون أن وحدة اللغة من أقوى الروابط وأعظم الوسائل .

لا شك أن من نظر إلى ذلك كله وعرف أن النبي كان يخاطب جميع قبائل العرب وفيهم الشيخ الفاني والغلام والخادم وضعيف الإدراك وسيء الحفظ ومتلعثم اللسان وأنه كان يعلمهم جميعا القرآن لم يرتب في أنه لا بأس من تعليم كل قوم بلغتهم ولا داعي لتكليفهم بمشقة الانتقال عنها بل يرى ذلك من الحكمة تسهيلا عليهم واستمالة لنفوسهم الأبية وتوسيعا لطريق الدين في وجه من يريد الدخول فيه وغاية الأمر أنه يلزم أن لا يكل ذلك لاختيارهم لئلا يختلف التعبير عنه باختلاف الأفهام أو تلاعب الأوهام وليس يليق بفعل الله وهو أحكم الحاكمين أن يكلف العرب أن يتعلموا لغة قريش مثلا ثم يجيئوا للنبي بعد ذلك ليأخذوا عنه القرآن ولو فرضنا ذلك (فعلى يد من يكون هذا التكليف) وفي أي مدرسة يحصل هذا التعليم (وأي مصلحة تترتب على ذلك) وهل هو إلا وضع عقبات في طريق المقصود .

فالخلاصة أن العقل لا يمنع من ذلك وأن الحكمة تقتضيه والرحمة توجبه والقرآن تنزيل من حكيم رحيم. وسيمر بك في عبارات الكاتب ما تزداد به نورا وتمتلئ به سرورا إن شاء الله .

(المقام الثاني في إثبات أن تلك القراءات منقولة عن النبي ﷺ ولا دخل للرأي فيها) من عرف حال الصحابة ومحبتهم للدين التي كان يهون معها مفارقة أوطانهم وأبنائهم والخروج عن أموالهم ورفيع جاههم بل كانت تلك المحبة تهون عليهم القتل دونه فتخرج نفس الواحد منهم ولا يخرج الدين من سويداء قلبه مطمئنا بذلك كل الاطمئنان مترنما ساعة قتله بقوله : (ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي حال كان في الله مصرعي) .

إلى آخر ما هو معروف من سيرتهم وما لا قوه في ذلك السبيل؛ لم يشك في أن تحمل تلك المشقات ومفارقة تلك المحبوبات ومقاومة الأعداء ومعادات الأقارب والأصدقاء لا يكون إلا عن اعتقاد راسخ ويقين تام بأن هذا الدين سماوي لا دخل للبشر فيه بوجه من الوجوه ولو أحسوا بأن ذلك قد تطرق إليه تصرف الآراء ولعب الأهواء لما رضيت نفوسهم الأبية بتلك التبعية وهي تلك النفوس التي تهوى الإطلاق وتنفر من التقييد وتعشق الاستبداد وتمقت الاستعباد .

ولكن لا نكلك إلى ذلك بل نقص عليك من نبأ النقل والتواتر ما لا يبقى معه أدنى شبهة ولا أقل ارتياب فنقول :

١ ــ قال رسول الله ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف فأيها قرأت أصبت (جزء أول من تفسير ابن جرير نمرة ١١) وفي الاتقان وغيره أنه روى حديث نزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة أبي بن كعب وأنس وحذيفة بن اليمان وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وسمان بن سردوان وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمرو بن أبي سلمة وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبي بكرة وأبي جهم وأبي سعيد الخدري وأبي طلحة الأنصاري وأبى هريرة وأبو أيوب. فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا وقد نص أبو عبيدة على تواتره وأخرج أبو يعلي في مسنده أن عثمان قال على المنبر أذكر الله رجلا سمع رسول الله ﷺ قال إن القرآن نزل على سبعة أحرف إلا قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال وأنا أشهد معهم .

٢ ــ عن أبي بن كعب ﷺ كما في ابن جرير قال ما حاك في صدري شيء منذ أسلمت إلا إني قرأت آية فقرأها رجل غير قراءتي فقلت أقرأنيها رسول الله ﷺ فأتيت رسول الله ﷺ فقلت ألم تقرئني كذا وكذا قال بلى فانظر إلى قوله أقرأني الذي يفيد أنه لا مدخل له برأى فيه مع شدة احتياطهم وحرصهم على ذلك النقل والتلقي حتى تنازعوا وتدافعوا .

٣ ــ لقي النبي ﷺ جبريل فقال له إني بعثت إلى أمة أميين وفيهم الغلام والخادم والشيخ الفاني فقال اقرئهم القرآن على سبعة أحرف انظر ابن جرير في مقدمة تفسيره نمرة ١٢ .

٤ ــ القرآن كله متواتر بأصله وكيفية أدائه واستثنى ابن الحاجب ما كان من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتحقيق الهمزة وقال غيره الحق أن أصل المد والإمالة متواتر ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف في كيفيته وإنما ثبتت أحادا فقط وأما أنواع تحقيق الهمزة فكلها متواترة وقال ابن الجزري لا نعلم أحد تقدم ابن الحاجب إلى ذلك وقد نص على تواتر ذلك كله أئمة الأصول وهو الصواب لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر أدائه (فأنت تراهم لم يختلفوا إلا في كيفية الأداء مما لم يتغير به أصل المعنى كالمد والإمالة والإدغام وأمثالها مع كون الحق أنها متواترة أيضا وأما جوهر القرآن فلم يختلف في تواتره أحد .

٥ ــ ما نقل أحادا ولم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن قطعا (اتقان جزء أول نمرة ٧٩) .

(وقد بنى المالكية وغيرهم ممن قال بإنكار البسملة قولهم على هذا الأصل وقد احتجوا بأنها لم تتواتر في أوائل السور وما لم يتواتر فليس بقرآن .

٦ ــ قال ابن حجر إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي بل المراعي في ذلك السماع عن النبي ﷺ ويشير إلى ذلك رواية كل من عمر وهشام في حديث الباب (أقرأني النبي ﷺ . قلت وقد جاء

مصرحا به في كلام الذين جمعوا القرآن فقد جاء عنهم أنهم كانوا يرسلون إلى الرجل وهو على ثلاثة من المدينة فيقولون له كيف اقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وقد تركوا لها مكانا فأنت تراهم قد جاءوا به وهو على ثلاثة من المدينة ليسئلوه عن الكيفية التي اقرأه بها الرسول فإذا لابد أن تكون الكيفية مأخوذة عن الرسول كما أن الأصل مأخوذ عن الرسول .

٧ ــ قال ابن قتيبة كان من تيسير الله أن أمر نبيه ﷺ أن يقرئ كل قوم بلغتهم فالهذيلي يقرأ (عتى حين) بالعين والأسدي يقرأ (تعلمون) بكسر أوله والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز قال ولو أراد كل فريق منهم أن يزول عن لغته وما جرى عليه لسانه طفلا وناشئا وكهلا لشق عليه غاية المشقة فيسر الله عليهم ذلك بمنه تعالى فالكل مسموع عن النبي ﷺ بواسطة أو بلا واسطة ولنقتصر من النقل على هذا القدر خوف السآمة .

(المقام الثالث في أن الكاتب هل أتى بما يثبت دعواه من التحريف في الكتاب الشريف أم اشتبه عليه الحال وخانه الاستدلال) سبق لك أن الكاتب صدر الفصل بقوله قراءة أم تحريف .

وليس يخفى عليك أن معنى التحريف أننا لم نلتزم ما قاله النبي ﷺ بل تصرفنا فيه فبدلناه وغيرناه وقد بين ذلك غاية البيان أثناء كلامه حيث قال في استنتاجه (فإذا القرآن ليس طبق ما نطقت به شفتا محمد) على أن معنى التحريف بديهي لا يحتاج إلى بيان وما أدري كيف خفي على الكاتب معنى ذلك البديهي فتراه

يستدل على ثبوت التحريف بمثل قوله (قال البيضاوي في الآية الخامسة من الفاتحة وهي التي يتغنى بها المسلمون في صلاتهم قرئ صراط بالسين والصاد) وهكذا كل ما جاء به من الأدلة يقول فيه (قرئ كذا وفي قراءة كذا) فقل لي بربك هل في ذلك إثبات دعوى التحريف ولو أتى من أمثاله بألف دليل .

لا أخالك تشك في أن ذلك لا يصلح أن يكون دليلاً لتلك الدعوى وإنما دليلها أن يثبت أن ذلك لم ينقل عن رسول الله ﷺ وهو لم يتعرض لذلك أصلا وقد عرفت بالأدلة القاطعة أنه منقول بالتواتر عن رسول الله فإذا لا يكون تحريفا أبداً ولو فرضنا أنها مائة قراءة لا سبع قراءات .

والقاعدة أن ما ثبت بالتواتر فهو قرآن وما لم يثبت بالتواتر فليس بقرآن حتى أننا لا نجيز القراءة به وتبطل صلاة من يقرأ به لأننا لا نعتبره قرآنا .

فإذاً كان يجب في المحاجة أن يقول إن ذلك فليس منقولا عن نبيكم بدليل كذا فهو من عند أنفسكم. أو يقول إن ذلك ليس موافقا للغة العرب بدليل كذا وكل ما لا يوافق لغة العرب فليس بقرآن باعترافكم) أو يقول (إن هذه القراءة تناقض القراءة الأخرى وكلام الله ليس فيه تناقض فيلزم أن يكون إحدى التلاوتين تحريفا)

فهذا الذي كان ينفعه في المحاجة لا ما ساقه من الشواهد الكثيرة وأجهد فيه نفسه كل الإجهاد على أنه يمكننا بغاية السهولة أن نقول له إنك قد صرحت في كل ما ذكرته من الشواهد بأنها

قراءة ولم تنقل غير ذلك وإذا كانت قراءة فلا تكون تحريفا باعترافك وإلا فلا معنى للمقابلة في كلامك بين القراءة والتحريف. هذا وسترى في المقام الرابع ما تعرف به أن الكاتب قد تخبط في سيره تخبطا لو أحس به لما تبجح في كلامه ولا فرح ببنات أوهامه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[1] ، ونكتفي بهذه الثلاثة لأن الرابع أطال فيه الشيخ الجليل ... وصال وجال فليرجع إليه لعظيم فائدته ونفعه .

٣ ــ وثالث الأمور من الجوانب الإبداعية في تفسير الشيخ تفسيره لقوله تعالى ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾[2] بغير ما قاله المفسرون :

فقد ابتدأ الشيخ تفسير الآية الكريمة بذكر خلاصات لما قيل فيها ثم ابتدأ يذكر إضافاته العلمية والتفسيرية والروحية .. ومن ثم فحديثه هنا من فقرتين ، الفقرة الأولى يسوق فيها ما قيل في الآية الكريمة من معنى ، والفقرة الثانية يذكر فيها ما منَّ الله به عليه في معنى الآية .

فيقول رحمه الله :

اعلم أن تفسير العلماء في هذه الآية يرجع إلى أن المالك يتصرف في ملكه كيف يشاء .

---

(١) الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف للشيخ الدجوي ص ٢٦ ــ ٣٥ .
(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

ولابد أن يدور بنفسك عندما تسمع ذلك حديث طويل وإن كنت لا تجرأ على إظهاره فتسكت أمام العلماء مقتنعا بما حدثوك به فيما يظهر منك وأما باطنك فيكون فيه من المحاورات والمنازعات ما لا تطمئن معه نفسك ، ولا يسكن له جأشك ، وقد قال لي بعض العصريين هذا يمكن أن يكون جوابا عن ملك الروسيا في استبداده وما يفعله مع رعاياه فأرشدته إلى ما اقتنع به واستحسنه جدا وإنه لحسن فيما أراه والفضل لله .

وإني أعلم إنك تارة يشرق قلبك بما يفاض عليه من نور سماء روحك فتعجب به كل الإعجاب . وتارة تنزل إلى أرض طبيعتك الكثيفة التي لا يمكن دوائرها أن تمسك تلك المعاني السيالة ولا يتأتى أن تنتقش تلك العلوم اللطيفة في تلك الأرض الكثيفة ولا أن يزن ميزان أحجارها تلك الأسرار لمزيد وقتها وعند ذلك فيلزمك أن لا تذهب على تلك الأرض إلا وبيدك معول البراهين الكثيفة حتى تستطيع أن تؤثر في أحجارها أيدك الله ومع هذا قلت لا أبالي بما يكون من بعض المتفيهقين فلن أعدم من أهل النور من يعرف قيمة ما أنا ذاكر فأقول .

(ذكر احتمالات قريبة في الآية)

أقدم لك ههنا في بيان المراد من الآية ما يقرب تناوله ويطيب جناه ثم نتبعه بشرح ذلك السر الذي نوهنا عنه إن شاء الله .

يمكنك أن تقول إن المراد تقرير كونه تعالى حكيما بالغ الحكمة فلا يسأل عما يفعل ثقة بحكمته بحيث لا يصح أن يرتاب

فيما يفعل ولا يتهم فيما يحكم فإن قولك لم فعلت يشعر بتهمة وريبة فيريد الحق تعالى أن يكون عبده ممتلئ القلب بالعلم بحكمته فائض النفس باعتقاد رحمته فيكون غارقا في التسليم له والتفويض إليه فلا تتحرك نفسه مع تلك العقيدة بسؤال ولا يلم بها أدنى خيال .

يا حاكمي وحكيمي أفعالك الكل حكمة

وكان كثيراً ما يقول بعض العارفين (إذا كنت لا تعرف الحكمة فقلد من يعرف الحكمة)

وكم رمت أمراً خرت لي في انصرافه

فلا زلـــت بي مـــني أبر وارحما

أو تقول إن المراد تقرير العظمة وأن الألوهية بحيث يجب لنعوتها العليا أن لا يجرأ على سؤالها أحد لا من حيث أنها تعمل عمل المستبدين من السفهاء وأرباب الأهواء بل من حيث إنه يجب لعظمتها التلاشي والاضمحلال والقيام بأجل آداب العبودية أو ما تراك ــ أيدك الله ــ تستقبح من عبدك بل خادمك أن يسألك عن وجه ما فعلت وسر ما قضيت وتعتبر ذلك من سمات عدم الوثوق بك أو الجراءة عليك أو الريبة فيك أو عدم الحياء منك وأن واجب العبودية الانقياد والامتثال ثقة بحكمتك وبعد نظرك وقياما بما يجب لعظمتك وسيادتك وأنه أقل من أن يفتش على ما تنويه أو يراقب ما تقضيه بل يجب عليه بعد هذا الامتثال الظاهري أن يكون خاضع القلب مطمئن النفس هادئ السر علما بما لك من صفات الكمال التي لا يبلغ نظره مداها ويحسر بصره دون غايتها وقد قيل في (عيينة

بن حصن) الفزاري إنه إذا فزع بسيفه فزع معه مائة ألف سيف لا يسألونه عما دعاه إلى ذلك . افترى هذا إلا قياماً بواجب عظمته أو ثقة برأيه وبعد نظره . ولا تزال العرب تمدح بمثل ذلك وقد قال الفرزدق في زين العابدين رضي الله عنه مادحاً له .

يغضي حياء ويغضي من مهابته فلا يكـــلم إلا حـين يبتسم

وقال بعض المدنيين في مالك ﷺ :

يدع الجواب فلا يراجع هيبة والحاضرون نواكس الأذقان

إلى غير ذلك. فما بالك برب الأرباب ومالك الرقاب كيف يختلج في نفس عبده خاطر وقد علم أنه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين ورب العالمين يستحيل عليه العبث والخطأ ويتنزه عن كل نقص ويجب له كل كمال . قال بعض الأجلاء (كيف يستغرب ذلك وفي القوانين الحربية أنه لا يباح للمأمور أن يتباطأ في امتثال الآمر وإنه لو قال له لم ؟ لكان جوابه إحلال دمه ، وليس معنى ذلك أن القائد يفعل ما يشاء على ما يقتضيه العبث أو تشير به الأهواء بل لمعان أخرى ووجوه يجب أن تعتبر في الحكمة وواجبات المقام . ويمكننا أن نقول إن هذا يراد به تعليمنا حسن الأدب مع الله تعالى حتى نقلده في كل شيء فنطمئن في كل ما يأمر ونزعن لكل ما يريد فنعمل الأعمال كلها بالإذعان والاطمئنان، وإذا تربت فينا تلك الملكة فسارعنا إلى الامتثال ولم نتباطأ فيما يأمرنا به من الأعمال سعدنا سعادة كبرى وكنا كالأطفال الذين وثقوا بأبيهم الحكيم وعلموا أنه لا يريد بهم إلا الخير وقد عمل هو على تمكين ذلك من نفوسهم فأصبحوا لا يبحثون وراءه عن شيء عالمين حسن نيته وبعد

حكمته ومزيد رحمته فليس هناك شك يعوقهم عما يريد منهم ؟ ولا بحث يؤخرهم عن استفراغ هممهم وأوقاتهم وخفايا المقاصد ودخائل الأشياء ولو كان قد أعدهم لقلق النفوس وحرج الصدور والتباطؤ في بعض الأعمال تارة والامتناع عنها تارة أخرى لكان من مصلحتهم وموجبات سعادتهم أن يريبهم على أن لا يراجعوه فيما يأمر ولا يسألوه عما يريد إلا إذا تبرع هو وله النظر الأعلى ببيان الحكمة وغلا فهو أعلم منهم وأرحم بهم عالما أن في هذا قضاء حقه وحقهم معاً . وليس يغيب عنك سبب الخذلان الأبدي لإبليس وأنه ليس إلا ما كان من إتهامه لحكمة الحكيم وجراءته على ربه العظيم ورجوعه إلى استحسانه لا إلى إيمانه وإيقانه .

هذا ويمكنك بسهولة أن تقول إن المراد بالسؤال لازمه وهو المجازاة فإن الجزاء إنما يكون من الأعلى للأدنى ، ولا يتصور ذلك في حقه تعالى فكأنه قيل إنه أكبر الكبراء وأعظم العظماء . فليس فوقه أحد حتى يجازيه على ما يفعل ــ ويمكنك أن تقول إن المراد بالسؤال الملقي سؤال التسلط والاستيلاء فلا يسأله تعالى أحد بطريق الاستيلاء عليه بخلافهم فإنهم يسألون عن كل ما يفعلون من قبله تعالى فإنه الحاكم عليهم والمتصرف فيهم تصرف السيد في عبده والمالك في ملكه . وليس هذا عين ما قبله فإن السؤال هنا باق على معناه غير إنه أريد به سؤال خاص بخلافه على الوجه السابق فهذه احتمالات قريبة في الآية يمكنك أن تكتفي بها وتطمئن إليها[1].

(١) ينظر : رسالة في تفسير قوله تعالى " لا يسأل عما يفعل " بغير ما قاله المفسرون للشيخ يوسف الدجوي ص ٨ ــ ١٢ مطبعة النهضة الأدبية أمام مدرسة الحقوق سنة ١٣٣٣هـ ــ ١٩١٥م .

ثم يعقب بعد إيراده للأقوال في الآية الكريمة فيقول : غير أن في الآية سراً بديعاً وهو المقصود بالذات ههنا ولكنه محتاج إلى تمهيد فيلزمنا لذلك أن نلفت نظرك إلى أن من الحكمة أن تنظر في حال السائل الذي يطلب منك الجواب قبل أن تجيبه حتى إذا كان يناسبه الجواب ولا يعلو عن استعداده أقررته على السؤال وشفيت غلته بما يريد من الجواب ، وإذا كان لا يمكنه أن يفهمه وكان من علوم طبقة أخرى غير طبقته كان ذكره عبثا وربما كان ضرراً كبيراً عليه وقد قال ﷺ (ما من رجل يحدث قوما بغير ما تصل إليه عقولهم إلا كان فتنة عليهم) وقد قال الإمام مالك ﷺ في حق من سأله في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (أخرجوا عني هذا المبتدع فإنه شيطان) ولو سألك ابنك الصغير عن مسألة عالية في العلم تتعلق بفروع كثيرة ولو ذكرتها له أضر ذلك بعقله أو عقيدته وكان كالمريض الذي يأكل الأطعمة الدسمة التي لا يستطيع هضمها فليس من الحكمة أن تذكر له جواب تلك المسألة بل من الحكمة أن لا تدعه يقرع باب السؤال في مثل ما سأل فيه .
ومن المعلوم أن فعل كل أحد يصدر منه على قدر علمه حتى إننا نستدل بإتقان الصنعة وحسن تنميقها على مزيد علم الصانع . فإن فعله تعالى على قدر علمه وعلمه على قدر ذاته وذاته لا تحيط بها العقول ، فكذلك علمه فكذلك فعله فنحن في حجاب عن الكل وسيمر بك مزيد لهذا في كلمتنا عن العلماء .ونزيدك ههنا أن الوجود كله سلسلة واحدة تتجاذب أجزاؤها وترتبط حكمها وأسرارها على وجه لا يحيط به إلا الله الذي لا تتناهى كمالاته ولا تنحصر معلوماته ولا

تفهم أسراره في مخلوقاته لأنها مرتبطة وغير متناهية فلم يمكن إدراكها على التحقيق إلا له تعالى ، والفعل الإلهي الذي أتقن بالعلم الإلهي كيف يمكن أن يصل إليه علم البشر القاصر الضعيف ، وإذا رأيت صنعة متقنة فلا يمكن أن تعرف كل ما فيها من الأسرار والدقائق حتى يصير علمك مثل علم صانعها وإلا فهناك ما لم تعلمه ، وعلمك إنما خلق على قدر أفعالك التي تراد منك لا على قدر أفعاله تعالى فإن ذلك يعلو عن استعدادك ولا يناسب درجة علمك ، ولكون أسرار الوجود يرتبط بعضها ببعض وهي غير متناهية كانت العلوم لا تقف عند حد أصلا ولا تزال تخرج من شيء إلى شيء ويزداد الأول بالثاني وضوحا لما بينهما من المناسبة والثاني بالثالث انكشافا وهكذا حتى يلوح للناظر في بعض الأوقات ذلك السر البديع . وهو أن الأشياء مدبرة معا وأنها ترجع إلى قانون واحد سار في كل المخلوقات .

يلوح له ذلك البرق فيجده قد قذف به في بحر لا ساحل له وعلوم لا نهاية لها يتشابه به موجها وتتوالى بروقها ثم تشرق عليه كواكبها فيعشى بصره وسط تلك الأضواء ويدهش لبه من مظاهر تلك الحضارة القعساء ، فبينما هو مبهوت في ذلك الملكوت إذ سمع صوتا كأنه سلسلة على صفوان وإذا بمناد ينادي من وراء حجب الجبروت ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[1] ، فلما تجلت له تلك

(١) سورة الكهف الآية ١٠٩ .

العظمة صار جبل عقله دكا ، وخر كل شيء فيه صعقا فإذا أفاق من غشيته ، وتنبه من دهشته ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وعلم إذ ذاك أنه وصل إلى سدرة المنتهى وإنه لو تقدم أنملة لغرق في بحار الأنوار أو احترق بسبحات الواحد القهار، فقال لنفسه (ليس وراء عبادان قرية) فههنا ينتهي علم الملائكة المقربين ، وأرواح الصالحين من المؤمنين ، فرجع أدراجه يطوي السماء طيا ، وقد عزم أن ينتبذ من أهل بيئته مكانا شرقيا ، وعلم أنهم إنما ينظرون إلى الحلقة الأخيرة من سلسلة الوجود ، وإن تخطوها فإلى حد محدود ، ثم يقف بصرهم الكليل وعقلهم الضئيل فينقطعون أثناء الطريق لا محالة (ولا ينبئك مثل خبير) ثم لا يزال ذلك الروحاني الكريم ينزل من سماء إلى سماء ويشاهد من عوالم الملك والملكوت ما يعرف وما لا يعرف حتى إذا صار بين الروح والجسد يريد أن يقرع باب الفؤاد من ذلك العالم إذ لاحت منه التفاتة وهو في ذلك المقام إلى ما بين سماء المعاني وأرض المحسوسات فوجد تلك الآية مكتوبة وسط الهواء بحروف من نور تمتد صاعدة إلى السماء ونازلة إلى قرار الماء ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[2] فأدهشه ما رآه وعرف أن الأمر كله لله ثم وجد نفسه تشتاق إلى عالم الكثافة عندما كاد يقضي عليها جمال عالم اللطافة فاشتد في قرع باب الفؤاد

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .
(٢) سورة الطلاق الآية ١٢ .

ودخل في سجن عالم الأجساد وقد اضمحل وتلاشى ثم رجع إلى حده من العلم ومركزه من الفهم فوقف عند الظاهر وما تعداها بل اقتنع بما وصل إليه من رشاش ذلك البحر وقد نقش على صفحات قلبه ذلك الخطاب الإلهي ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(١).

فالخلاصة أن الآية مسوقة لبيان عظمة الألوهية في سعة علمها وعدم تناهي أسرارها وأن ذلك يعلو عن حد الإدراك ويرتفع عن متناول الطاقة البشرية فإن للألوهية شأنا آخر لا تدركه العقول ولا تصل إليه الأفهام فأنها مقصورة على إدراك شئون الحوادث التي تماثلها ولا تتعداها على شؤون الربوبية فذلك يتوقف على تناسب في الصفات وتماثل في الكمالات . وإن نسبة علمك إلى علمه كنسبة قدرتك إلى قدرته . ونسبة ذاتك إلى ذاته . فله في كل شيء من باطن العلم وسر السر ما ليس لنبي مرسل ولا ملك مقرب مما يناسبه ويكون على قدره وهو الكبير المتعال . فليس لك من العلم بالأشياء إلا درجة تناسبك وتقف بك عند ظاهرها وفوق درجتك درجة من فوقك من الخواص إلى أن تصل إلى درجة في العلم مختصة به تعالى تناسب ألوهيته لا يشاركه فيها أحد (وفوق كل ذي علم عليم) وهو من لوازم الألوهية التي تجب لها الوحدانية في كل شيء . وقد نهينا عن الخوض في سر القدر علما منه ﷺ بأن النفوس لا تقف عند الظاهر بالنسبة إليه . ولا تزال تتطلع للوقوف على باطن الأمر فيه وهي لا تطيقه لأنه فوق رتبتها فوقفها

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

عليه السلام عند حدها وحظر عليها أن تسير في تلك الغياهب لئلا تضل ضلالا مبينا . وقد خلقت العقول على حد محدود كالحواس كما أبناه لك في مقالة مخصوصة من كتابنا(سبيل السعادة) تحت عنوان (حقيقة فلسفية ضل فيها كثير من الناس) فكما لا يصح أن تجهد بصرك كي يرى الهواء الذي يدق ويلطف عن رؤية الأبصار فكذلك لا يصح أن تطمع في أن تكتنه أسرار الأفعال الإلهية كما هي لدي الحضرة العلية . فسره فيما يقتضيه وحكمته فيما يفعله على الوجه التام مما يختص بالألوهية ولعلك لم تنس ما ذكرناه لك في تلك المقالة من أن لكل درجة علما يخصها فلابد أن تعرف قدرك ولا تتعدى طورك

من أنت يارسطو ومـــن أفلاط قبـــلك قد تفــرد
ومن ابن سينا حيث هـــ ذب ما أتيت به وشـــيد
ما أنتموا إلا الفـــــرا ش رأى السراج وقد توقد
فدنا فأحرق نفســـــه ولو اهتدى رشدا لأبعــد

وقد قيل (لاياس) وهو الذي تضرب بذكائه الأمثال لا أنه مؤمن يثق بإيمانه أكثر مما يثق بذكائه (ما رأيك في القدر) فقال (رأيي رأي ابنتي) وإنك لتلمس من كلمته هذه كلمة الرجل الساذج الذي لا يزيد علمه على علم ابنته برهانا ساطعا على ذكائه حيث لم يتعد طوره ورحم الله امرأ عرف قدره . هذا مع العلم بأن الفعل في حجاب عن العقول كالذات والصفة فكما لا تعرف كنه ذاته لا يمكن أن تعرف كنه صفاته ولا كنه أفعاله وهي لوازم مرتبة وسيأتيك هذا

في كلمتنا مع العلماء . ومع العلم بأن أسرار الوجود يرتبط بعضها ببعض على تدبير عجيب وأسلوب غريب وأنها لا تتناهى ، فإذا لا يمكنك أن تعرف ما هو الفعل ولا كيف يكون الفعل لأن ذلك من الخفاء بمكان الصفات ورتبة الذات على ما حققناه . ولا أن تعرف سر الفعل على التحقيق لما عرفت من أن درجتك لا تسمح لك بذلك. وأن اكتناه الأشياء بما لا غاية وراءه من خصائص الألوهية. ولما علمت أيضا من أن أسرار الوجود متجاذبة وغير متناهية ولا قدرة لك على ما لا يتناهى[1] .

(١) السابق ص ١٢ ــ ١٧ .

المبحث الثالث

معاركه الفكرية

كان الشيخ الدجوي موضع الثقة العلمية لدي المسلمين في عالم الإسلام خارج مصر وداخلها فكانت الأسئلة تفد إليه دائما دون انقطاع وقد يجيب عليها بالبريد ، وقد يرد على صفحات المجلات الدينية ، وكان له مخالفون في بعض ما يصدر من الأحكام ، ولكن بعض المخالفين لم يقفوا في حد لهم عند آداب البحث والمناظرة بل تجاوزها إلى أساليب التشهير والتجريح ، فكانت هناك معارك كلامية وفكرية ... بين الشيخ وبين بعض ذوى الصدارة وأبرز هؤلاء الشيخ محمد رشيد رضا ، وطالب نجدي كان في الأزهر ثم فصل منه ، ونعرض لبعض ما دار بين كل منهما وبين الشيخ في بعض المعارك لا كلها مما يتعلق بالتفسير دون أن نعقب بنقد أو تعليق ، فهذا مما يحتاج إلى بحث على انفراد .

- مع صاحب المنار :

كانت هناك معارك متعددة بين الشيخ الدجوي والشيخ محمد رشيد رضا في بعض مسائل العقيدة ، ومسائل الحديث وعلومه ، ومسائل التفسير ، على صفحات مجلة المنار من جانب الشيخ رشيد وجريدة "الأفكار" و "الإسلام" و "نور الإسلام ــ الأزهر فيما بعد" وغيرها من جانب الشيخ الدجوي ، وقد جمع بعضها ابن أخيه وتلميذه الشيخ عبد الرافع الدجوي في كتاب بعنوان " صواعق من

نار في الرد على صاحب المنار " ، ونختار من بين ذلك ما ردّ به الشيخ الدجوي على الشيخ رشيد بشأن تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[1] حيث قال تحت عنوان:

صاحب المنار وآدم عليه السلام

طلب مني بعض محبي العلم الذين يريدون طمأنينة النفس وسكون القلب وراحة الضمير في كل موضوع علمي أن اصدع بالحق وأبين ما جاء في تفسير المنار لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[2] مما أوجب القلق وأثار الشغب وانتهى بالقضية المعروفة التي فصلت فيها المحاكم فأجبته على ذلك خدمة لكتاب الله تعالى وحبا في تحقيق الحق وخروجا من وعيد حديث " من سئل عن علم فكتمه " الخ ولنقتصر على بيان بعض ما ورد في ذلك التفسير من الاغلاط العلمية الرئيسية والأخطاء التي لا يصح إغفالها مما يتسع له صدر الجرائد معرضين عما جاء فيه من مناقضة بعضه لبعض وما اكتظ به من بطلان اللوازم وفساد الاستنتاج بعدا عما يوجب الإملال أو يكون مدعاة لكثرة القيل والقال ولنمهد للكلام في مسألة آدم مقدمة عامة نافعة إن شاء الله فاستسمحك أن اقتصر عليها اليوم لئلا يطول بك الكلام ويتسع عليك المقام وإن غدا لناظره قريب ، أما موعدنا بذلك فالرسالة الثانية إن شاء الله "

---

(١) سورة النساء الآية الأولى .
(٢) فقد فسرها تطبيقا على نظرية دارون ، وقال بأوادم متعددة .

يجدر بك أن تعلم قبل كل شيء أن الدين لم يجئ فيه ما يصادم العقل أو يناقض الفطرة أو يعارض الحق وكيف يعارض الحق وهو تنزيل من يستحيل عليه الجهل والعبث فلا يمكن أن يكون فيه ما يجافي الحقائق أو ينافي الواقع ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[1] ، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾[2].

ولكن هنا أمران مخجلان اقتضاهما النقص البشري والجهل الطبعي في الإنسان ولم يتخلص منهما إلا الراسخون في العلم العارفون سر قوله تعالى ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[3] ظلوماً يتعدى الحدود في كل شيء جهولا تضله الأهواء وتعميه الشهوات .

ذلك أن كثيرا من علماء الطبيعة لم يعرفوا قدر أنفسهم ولا قدر الكون الذي هم فيه ولا ما أحاط به من النواميس المدهشة التي تنطق بمزيد أحكامها وخفايا أسرارها وتشعب طرقها واتساع أبحاثها وتباعد أقطارها وكثرة آثارها بوجود إله عظيم لا تحد عظمته ولا تتناهى حكمته قائلة لهم كل آن وحين بلسان فصيح لا يخفى إلا على أعجمي غبي " اربؤا بأنفسكم فإن وراء الأكمة ما وراءها " ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[4] وتردد عليهم بلسان

(١) سورة الملك الآية ١٤ .
(٢) سورة النساء الآية ٨٢ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .
(٤) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

الحضرة الإلهية . لا تقفوا ما ليس لكم به علم " واقتنعوا بما وصلتم إليه من الفهم وقفوا عند ما قدر لكم " ﴿ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[1] منشدة لهم كل صباح ومساء ما تغرد به بلابلها على أفانين الاكتشافات ويصيح به خطيبها على منابر الآيات

عجبت لعاقل في الناس اضحى يرى هذا الجمال ولا يهيم

ولعلنا أطلنا عليك ولكنها قطرات تطايرت من بحرها الخضم على غير نية ولا قصد وإنما هي نفثات أوجبها امتلاء الصدر وعظم الأمر فلنلفت عنان القلم على مزيد شغفه بالاسترسال في عالم الجمال إلى الموضوع الأصلي ونتم لك بيان هذين الأمرين اللذين هما من أكبر العيوب وأفحش الذنوب في تاريخ العلم والعلماء.

إن الطبيعيين كثيراً ما يخالفون قوانين علم الطبيعة وما توجبه عليهم قواعده وأصوله فيتكلمون فيما وراء الطبيعة في مسائل لم يمحصها النظر ولا أحكمت فيها التجربة مخالفين بذلك ما أوجبه عليهم العلم الطبيعي من الرجوع إلى الحس والتعويل على المشاهدة وطرح كل نظرية لم تصقل بنيران الامتحان ولم توزن بموازين التجارب المتكررة وهذا هو ما يعدونه ميزة هذا العصر الجديد ومنقبة العلم الحديث ويحسبونه السبب الأول في رقي العلم ودخوله في دور جديد . ناقمين على الأولين إغراقهم في النظريات بلا

(١) سورة طه الآية ٨١ .

بحث علمي ولا تمحيص حسي ولطالما رموهم بالأوهام والخرافات معترفين بأنهم على كثرة عنائهم وحسن بلائهم في امتحان النظريات وكثرة الاكتشافات لم يصلوا من العلم إلا إلى النزر اليسير ولا من حل رموز الكون إلا إلى ما عرفوا به اتساع الطريق وبعد الغاية وقد قال بعضهم " الفرق بيننا وبين آبائنا إننا نعتقد أننا جهلاء وآباؤنا كانوا يعتقدون أنهم علماء " يريد أنهم كانوا جاهلين. ويجهلون إنهم جاهلون ولو ذكروا لأرسطوا وأفلاطون وسقراط أن الماء مركب وأن الذهب غير مركب لأنكروا ذلك كل الإنكار هذه خاصة العصر الجديد ومزية العلم الحاضر باعتراف علماء الطبيعة إلا أنهم على رغم أنف العلم قد أجابوا غريزة من غرائز النفوس الناقصة فتكلموا فيما ليس لهم به علم ولا لهم به طاقة وأبوا أن يخضعوا للضعف الإنساني أمام قوة العلم البازخة . .

ولو تكلموا في ذلك على سبيل الفرض والاحتمال وقرع باب النظر وسلوك سبيل التفكير لكان وجها من وجوه الفلسفة وطريقة من طرائق العلم . ولكنهم حكموا جازمين وأعلنوا متبجحين بأحكام لا تزال في محل الفرض ولم تجاوز حد الشك ثم ضموا إلى ذلك جريمة أخرى فأوهموا الناس أن هذه المسائل لا فرق بينها وبين أخواتها من المسائل الطبيعية التي قام عليها الحس وأيدها البرهان فخلطوا المسائل اليقينية بالمسائل التخمينية ثم نسبوا كل ذلك على العلم الطبيعي غشا وتدليسا فقلدهم من تجلت في نفسه عظمتهم واستقر عنده صدقهم اغتراراً بثقته بهم في المسائل الأخرى فلم

يبحث وراءهم ولم ينقب عن دخائلهم وقد جاء في أحد أعداد المجلة الطبية الباريسية هذه الجملة كما في الحديقة الفكرية .

وليست الفكرة الواحدة إلا اتحاداً يشبه اتحاد حمض الفوسفوريك والتفكر نفسه ناتج من الفوسفور الذي هو في تركيب المخ "

فرد عليها العلامة الطبيعي الشهير (كاميل فلامريون) قائلا (من أخبركم بذلك يا حضرات المحررين . إن الناس يتوهمون أن معلميكم يعلمونكم هذه الهذيانات مع أن الأمر بخلاف ذلك لأن هذه الادعاءات ليست أمام النظر العلمي إلا " هباء منثوراً "

على أني لا أدري أي الأمرين يستحق أن نتعجب منه أكثر أمن هذه الجسارة الصادرة من هؤلاء الممثلين العجيبين للعلم أم من سخافة ادعآتهم؟ إن " نيوتن " كان يقول " يظهر لي " و " ديكارت " كان يقول " إني استنزل حكمكم في هذه الفروض " ولكن هؤلاء يقولون نحن نثبت . نحن ننكر . هذا موجود . هذا غير موجود . العلم قد حكم . العلم قد أقر . العلم أدحض مع أنه ليس فيما يقولون ظل من البرهان العلمي . إلى أن قال : إنكم تتجاسرون أن تعزوا للعلم هذا العبء الثقيل ولئن سمعكم العلم أيها السادة فقد حق له أن يضحك استهزاءا من غروركم، إنكم تقولون العلم يثبت ، العلم ينفي وبذلك تضعون على شفتي هذا العلم المسكين هذه الكلمات الضخمة، وتدخلون إلى فؤاده هزة الكبر والعجب، فهذا هو كلام كاميل فلا مريون، وبهذه المناسبة نذكر لك قول " باكون " وهو قائد علم

الطبيعة وحامل لوائها (من أخذ علم الطبيعة رشفا بأطراف الشفاه كان ملحداً، ومن شربه عبا أوصله إلى الخالق) . وقول "هرشل" (كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية) فالجيولوجيون والرياضيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده إلى غير ذلك من أقوال الفلاسفة المنصفين من قادة العلم الطبيعي بأوروبا . هذا هو الأمر الذي جاء من قبل الطبيعيين . وأما الأمر الثاني فقد جاء من قبل المنتسبين للدين من قاصري النظر وضعاف الفكر الذين يتبعون كل ناعق حباً في أن يوصفوا ببعد النظر وعدم الجمود وإيهاما للناس أنهم فاقوا أقرانهم بمعرفة ما لم يعرفوه وإدراك ما لم يدركوه ورغبة في رفعة الصيت بحق أو بغير حق وشغفا بما يردده كثير ممن تعلموا هذه العلوم من قولهم . هذا عالم عصري . هذا عالم متفنن . هذا عالم غير جامد إلى غير ذلك مما أوجب له أن يطيش طيش الفراش حتى احترق بنار العلم والدين ... [١].

٢ ــ الشيخ الدجوي والطالب النجدي :

وثاني ما نشير إليه من المعارك الفكرية ما وقع من أحد الطلاب النجديين واسمه عبد الله النجدي الذي فصل من الأزهر وألف رسالة بعنوان " شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام " خصص شطراً كبيراً من كتابه هذا في الرد على تقسيم البدعة إلى حسنة

(١) صواعق من نار في الرد على صاحب المنار ص ٢٩ ــ ٣٣ .

وإلى سيئة الذي قال به الشيخ الدجوي وأقام النجدي على كلامه ستة وعشرين دليلاً غلب عليها الأسلوب الجدلي الذي يمكن مقابلته بمثله[١] وانتقل بعد هذه الأدلة إلى شخص الشيخ بأسلوب تجاوز آداب الحوار والمناظـــرة بكثير إذ قال : يحـــدث المؤرخون أن مجد الدين بن تيمية جد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية المشهور ، نازعه رجل في مسئلة فأورد عليه ابن تيمية ستين دليلا على ما أظن وقال للرجل يكفيني منك أن تعيدها ولا تغلط فيها ، وأنا أقول لمنازعي الشيخ الدجوي وإخوانه يكفيني منكم أن تفهموا هذه البراهين وأن تستحضروها .

وإن بين المثالين تمام الموافقة فنحن حزب ابن تيمية قاهر المضلين من أهل عصره وغالبهم بالحجة ، والدجوي وإخوانه حزب مغلوبي ابن تيمية ومخصوميه .

وكأني بالدجوي المغرور عندما يرى هذه البراهين (إن كان يرى) التي ما كانت تخطر على فؤاده ـــ إن كان له فؤاد ـــ يغضب ويصخب ، ويشتم الوهابية ويقول ما هذه البلوى ؟ ما هذه المحنة التي خصصت بها ؟ ما هذا النجدي الذي يريد أن يأكلني ويشربني؟ ما هذا العربي الذي منيت به لينزلني من منزلتي التي ارتقيتها بلقبي وكتبي وراتبي ورتبي وغفلة أهل العلم والفهم عني .

(١) يراجع : شيوخ الأزهر والزيادة على الإسلام لعبد الله النجدي ص ٧ ـــ ٢٥ ط أولى مطبعة المنار بمصر ١٣٥١ هـــ .

ويقول يا ليتنا أرضينا هذا النجدي واسكتناه عنا ولو بمل فيه دراً ، ولو بكل ما نأخذه من راتب ، وما نمتلكه من متاع .

ويقول كنا حسبنا أننا قضينا عليه وألجمناه بفصلنا إياه من الأزهر ، وقد كنا حسبنا خطأ وخطلا أن الأزهر هو الحياة ، هو العرفان ، هو اللسان ، هو الجنان ولكن قد رأينا هذا الشيطان النجدي قد زاد بيانا وعرفانا ، وشجاعة وإقداما ، ولن يتركنا حتى يصرعنا ويقلعنا ، ويفضحنا ويرزحنا ويمسخنا الخ .

ولا أدري أيطلب مصادرة هذا الكتاب وإعدامه وإحراقه كما طلب ذلك حينما خرج الكتاب الأول (البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية) فحبط عمله ولم يسمع له قول ولم يجب له سؤال.

لا " أظنه لن يفعل ذلك ولن يسعى ضد هذا الكتاب بسوء لأنه يعلم أن سعيه غير مجد وغير نافع وغير مثمر فلا ينال منه غير التعب والخجل[١]

كما قام عبد الله النجدي بتفسير حياة الشهداء الواردة في قوله تعالى ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [٢] على أنها حياة الذكر وليست حياة حقيقية !! فقام الشيخ الدجوي بالرد عليه ، وبرغم ذلك يعانده النجدي ويجادل ويعمد إلى تسفيه رد الدجوي .... [٣]

(١) السابق ص ٢٥ ــ ٢٦ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٥٤ .
(٣) يراجع : شيوخ الأزهر للنجدي ص ٥٠ ــ ٦٤ .

ولم يقتصر الأمر على هذا بل كانت هناك مسائل أخر أشار إلى بعضها الشيخ الدجوي بقوله : كتب بعض النجديين رداً علينا في جواز التوسل بالنبي ﷺ كله خرافات وسخافات لا حاجة بنا إلى التعرض له والرد عليه فإن كلامه يحمل تحقيره في طياته وسقوطه في ثنايا عباراته . وإني والله لا أقول ذلك جزافا ولا دفاعا عن نفسي فإن الجهل فيه محس وصغر العقل فيه ملموس، ولولا ضيق المقام لأضحكت القارئ ببعض هزيانه ولكن في ذلك ضياع الوقت فيما يشبه ألاعيب الصبيان فقال الأستاذ الشيخ رشيد أن الشيخ الدجوي يقول إن هذا كلام صاحب المنار لا كلام ذلك النجدي .. وإني وحقك لم اقل هذا وهو أحقر من أن اهتم به أو التفت إليه وعندما قرأت كلام ذلك النجدي كنت أكبر الشيخ رشيداً عن هذه الخزعبلات ولكن عندما أمعنت النظر في بعض أعداد المنار وجدته لا يقل عن أخيه النجدي جهلا وتخبطا وأنه ليقع في نفسي أن أعمل رسالة أبين فيها ما في عدد واحد من أعداد المنار من التخبط والخلط والتناقض وقلة الذوق وخرق الإجماع وقد شط بنا القلم فلنرجع إلى كلمة الشيخ الدالة على مقدار أدبه وذوقه ودينه .

يقول حضرته في التبرئ مما كتبه النجدي وتكذيب نسبته إليه التي افتراها من عند نفسه ليشتمنا أو يعيرنا بفقد البصر على ما تقتضيه مكارمه الرفيعة ورسوخه في الدين والعلم والأدب .

يقول (إذا كان الأستاذ الدجوي لا يميز بين الألوان والأساليب الكلامية كما لم يميز بين الألوان الحسية أفلا يذوق طعمها أيضاً)

هذه عبارة الشيخ المجتهد الذي لا يخفى عليه ما جاء عن رسول الله ﷺ في تعيير المسلم لأخيه المسلم وقد كان ينبغي أن يكون له حاجز من ذوقه إن لم يكن له زاجر من دينه وأي معنى للإتيان بهذه العبارة في موضوع كهذا وإني استحلفك أيها القارئ الكريم أن تلتفت لركة عبارته وسخافة معناها وسقوط مغزاها فهل تجد لها طعما خصوصاً قوله (أفلا يذوق طعمها أيضاً) فهل لذلك طعم لدي صاحب الذوق ؟ أليس هذا أشبه شيء بكلام الساقطات في الحارات حين يتبارين في السب غير المعقول فإنه لا معنى للمعايرة بما ليس من فعل الإنسان ولا اختياره. ولعل الشيخ بعد ذلك يحس بأن الله أعطاه بصراً كما أعطى بقية جنس الحيوان ولم يعطه بصيرة كما أعطى خواص أفراد نوع الإنسان ... وبعد

فللبصيرة حكم ليس للبصري

هذا وإني مستعد لإعادتها جزعة ومناضلته على صفحات المنار في التوسل والاستغاثة وتكفير المسلمين الذين يعيش من أموالهم وعلى حسابهم مع دمائهم وليحكم القراء فيما نسوق لهم من براهين عقلية ونقلية. وإذا ناظرناه لم نطعن على البخاري كما يفعل حضرته (ومن طعن في البخاري فقد مهد السبيل لضياع الثقة بكل ما جاء في الدين عن سيد المرسلين فإننا لم نأخذه إلا عن البخاري ومن هو دون البخاري) ويكفي هذا اليوم ونصوص المنار عندنا إذا أرادها القارئ وإني لأعلم أن الشيخ سيكيل لنا من السب والأقذاع

ما يعرفه منه القراء ولكن هناك فرق بين قول باللسان وكلام يشبه الهذيان . وبين ما يشهد له الوجدان ويقام عليه البرهان .

يوسف الدجوي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف[١]

(١) صواعق من نار في الرد على صاحب المنار ص ٢٥ ــ ٢٧ .

ملحق

ويتضمن

عرض عام لكتاب " الجواب المنيف "

ـ المقدمة : وتشتمل على سبب تأليف الكتاب .

ـ فصل : وفيه رد د/ موريس الفرنسي رداً على المسيو ريناش ؛ حينما رمى القرآن بأنه غير فصيح ولا بليغ .

(تكلم الشيخ يوسف الدجوي بعد ذلك على ستة مقاصد ؛ وهي كما يلي :

ـ المقصد الأول : في القراءات .

وقد تحدث في هذا المقصد عن أربعة مقامات :

المقام الأول : في النظر في تلك القراءات من جهة العقل .

المقام الثاني : في النظر في تلك القراءات من جهة النقل .

المقام الثالث : هل أتى مدَّعي التحريف بدليل يثبت به التحريف ؟!

المقام الرابع : الكلام على بعض الشبهات وما جاء فيها من التناقض والكذب .

ـ المقصد الثاني : في الرد على مدَّعي التحريف فيما ادعاه من بطلان دعوى الوحي .

الكلام على ما رمي به القرآن .

ـ المقصد الثالث : في جمع القرآن .

ـ المقصد الرابع : في قراءة ابن مسعود .

ـ المقصد الخامس : في إثبات النسخ عقلاً ونقلاً ؛ والرد على شبهات النسخ .

فصل : في بيان مذاهب الشيعة وعقائدهم .

ـ المقصد السادس : الرد على مدَّعي التحريف فيما قاله في آية الرجم .

ـ الخاتمة (تكميل جليل) .

وقد تحدث فيها عما يلي :

أ ـ الإسلام دين الرحمة والحكمة .

ب ـ شهادات فلاسفة أوروبا للقرآن .

ج ـ التبشير بالنبي من كتب اليهود والنصارى .

د ـ الكلام على التحريف والتناقض في التوراة والإنجيل .

هـ ـ أمثلة كثيرة للتحريف والتناقض .

و ـ أسئلة يُطْلَب الجواب عنها .

ي ـ مقابلة ما يقوله الهنود الوثنيون في (كرشنه) و (بوذا) بما يقوله النصارى في المسيح .

وإليك عرض كتاب " الجواب المنيف في الرد على مدَّعي التحريف في الكتاب الشريف " لفضيلة الشيخ : يوسف أحمد نصر الدجوي ببعض تفصيل وبيان لصلته المباشرة بالجانب التفسيري لدي الشيخ الجوي .

والحمد لله رب العالمين ....

سبب تأليف الجواب المنيف

فقد أرسل إلى بعض الفضلاء الغيورين نسخة من كتاب القسيس كولديساك الإنكليزي المسمى (هل من تحريف في الكتاب الشريف) وكانت نفسي تنزع بي من وقت لآخر نزوعا شديدا إلى الرد على ذلك الكتاب بما يأتي على بنيانه من القواعد وكانت تطالبني بحركة عنيفة أن أجعل هذا الرد ذا أقسام ثلاثة :

١ ــ الأول في إقامة الأدلة القطعية وتمهيد المقدمات الدالة على أن دين الإسلام يجب أن يكون ديناً سماوياً ويستحيل أن يكون ديناً وضعياً وأنه لا سعادة للأرواح والأشباح جميعاً إلا به متى عرفت أسراره ووقف على مراميه وأني في هذا المقام أجد إحساسي يتألم ويضطرب وكأنه يصعب عليه أن يضع الإسلام في محل الشك ولو على سبيل الفرض حتى يقيم البرهان عليه .

٢ ــ والثاني في الرد على ما جاء في الكتاب على التفصيل وتبيين ما فيه من خطأ عقلي ونقلي .

٣ ــ والثالث في شرح معتقد المسيحيين وبيان أنه يستحيل أن يكون ديناً سماوياً ولكن علمت أني لا أستطيع الآن إلى ذلك سبيلا إذ أن ذلك يحتاج إلى مراجعة كتب كثيرة أخصها تلك الكتب التي نقل منها الكاتب ويحتاج مع هذا إلى تقرير حقائق فلسفية وقواعد أصولية ونواميس روحانية وسنن إلهية وأوقاتي لا تسمح لي بذلك ولا ببعضه (وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وكنت أكاد

أتميز غيظا مما منى به الإسلام من تلك المصائب التي ليس لها إلا الله تعالى وأتمثل بقول أبي العلاء المعري .

إذا وصف الطائي بالبخل ما در وعير قســـــاً بالفهاهة بأقل

وطاولت الأرض السماء شفاهة وقال الدجى للشمس لونك حائل

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

وإني لأعجب من متانة هذا الدين حيث لم يؤثر عليه ذلك التيار الجارف الذي تؤلف له الجمعيات " بأوربا وأمريكا " وتصرف في سبيله مئات الملايين على حين أن حكومات المسلمين ساهية لاهية لا يعنيها أمر الدين وأن أغنياء المسلمين لا يبذلون أقل قليل في ذلك السبيل وأن علماءهم لا يتفقدون عامتهم بالإرشاد والتذكير فعلمنا أنه ليس إلا الحفظ الإلهي والغيرة الربانية والمعجزة النبوية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] وما أجدر الحكومة والأمة بتأليف لجنة من خيرة العلماء لا يكون لهم عمل غير النظر في تلك المواضيع حتى يجدوا من فراغ الوقت وصفاء القلب ما يمكنهم من مقاومة تلك المقذوفات النارية التي تصب على المسلمين كل يوم وهم عزل لا سلاح معهم ولا جند لهم ثم رأيت أن أخوض غمار ذلك الموضوع بلا كتاب أنظر فيه ولا سفر أرجع إليه بل أتكلم معه بما يقتضيه العقل وتشهد به البديهة وترشد إليه أوائل العلم فضلا عن غاياته ورأيت أن ذلك أفضل من السكوت وربما كان ذلك أقرب إلى الأذهان وأعلق بالوجدان وكأن لسان

(١) سورة الحجر الآية ٩.

الحضرة الإلهية يقول أن هذا الكتاب ليس من العناية بذلك المحل الذي أحللته فيه وإنه كسراب بقيعة يترقرق كالماء حتى إذا جئته لم تجده شيئا ويكفينا في الرد عليه ما فيه من جهل وتناقض حتى إذا سمح لي الوقت صنفت كتاباً حافلاً في الموضوع ولعلني أتمكن من بعض ذلك أثناء هذا الكتاب عندما أراجع بعض الكتب إن شاء الله تعالى .

عناوين المقاصد والشبهة الأولى من كل مقصد والرد عليها :

المقصد الأول في القراءات

(فهم دقيق أم جهل عميق)

عقد الكاتب الفصل الأول من كتابه لبيان التغيير والتبديل في القرآن الشريف وصدره بقوله قراءة أم تحريف .

الكلام في هذا الفصل في مقامات أربعة :

المقام الأول في النظر في تلك القراءات من جهة العقل . والمقام الثاني في النظر فيها من جهة النقل . والمقام الثالث في النظر في أن الكاتب هل أتى بدليل يثبت التحريف أم اشتبه عليه الحال وخانه الاستدلال . والمقام الرابع في الكلام على جزئيات عبارات الكاتب وما جاء فيها من التناقض والكذب وما دس فيها من المقاصد فيلزمك أن تصبر لتحقيق ذلك كله وإلا :

(فدع عنك بحرا ضل السوابح)

(المقام الأول) هل يمنع العقل من تعدد القراءات أم لا هذا المقام يحتاج منك إلى أن تنظر معنى لحال الأمة العربية وما كانت عليه من شدة الأنفة وعظيم الحمية ومزيد الجهالة ثم تضم إلى ذلك اختلافها في اللغات وأن العربي يعسر عليه جدا أن يفارق لغته التي اعتادها ناشئا وشابا وكهلا ولم يعرف غيرها في أدوار حياته وتلتفت مع هذا إلى أن فهم المراد تماما إنما يكون بلغته ولا يسهل

عليه بلغة أخرى وقد ذكروا في كتب العربية خلافا في أن العربي هل ينتقل عن لغته أو لا ينتقل فالهزيلي لا يمكنه أن يقول حتى بالحاء بل يقلب الحاء عينا والأسدي لا يقول ترضى مثلا بفتح التاء بل بكسرها والتميمي لا ينصب الخبر بما بل يرفعه ولا يخفف الهمزة بل يحققها والقرشي بالعكس وهو خلاف مشهور وعلى كل حال فانتقال العربي عن لغته متعسر أو متعذر مع كونه ربما أخل بفهم شيء من المراد فبديهي جدا أن الفهم والتفهيم يتوقفان على أن يتكلم المعلم والمتعلم بلغة واحدة وقد اعتنى الغربيون بإحياء لغاتهم في مستعمراتهم وغيرها ويرون أن وحدة اللغة من أقوى الروابط وأعظم الوسائل .

لا شك أن من نظر إلى ذلك كله وعرف أن النبي كان يخاطب جميع قبائل العرب وفهم الشيخ الفاني والغلام والخادم وضعيف الإدراك وسيء الحفظ ومتلعثم اللسان وأنه كان يعلمهم جميعا القرآن لم يرتب في أنه لا بأس من تعليم كل قوم بلغتهم ولا داعي لتكليفهم بمشقة الانتقال عنها بل يرى ذلك من الحكمة تسهيلا عليهم واستمالة لنفوسهم الأبية وتوسيعا لطريق الدين في وجه من يريد الدخول فيه . غاية الأمر أنه يلزم أن لا يكل ذلك لاختيارهم لئلا يختلف التعبير عنه باختلاف الأفهام أو تلاعب الأوهام وليس يليق بفعل الله وهو أحكم الحاكمين أن يكلف العرب أن يتعلموا لغة قريش مثلا ثم يجيئوا للنبي بعد ذلك ليأخذوا عنه القرآن ولو فرضنا ذلك (فعلى يد من يكون هذا التكليف) وفي أي مدرسة يحصل هذا

التعليم (وأي مصلحة تترتب على ذلك) وهل هو إلا وضع عقبات في طريق المقصود .

فالخلاصة أن العقل لا يمنع من ذلك وأن الحكمة تقتضيه والرحمة توجبه والقرآن تنزيل من حكيم رحيم وسيمر بك في عبارات الكاتب ما تزداد به نورا وتمتلئ به سرورا إن شاء الله .

المقصد الثاني في الرد على الكاتب

(فيما ادعاه من بطلان دعوى الوحي)

عقد الكاتب الفصل الثاني من كتابه لإيراد ما يبطل كون القرآن من عند الله ولا بأس أن نطيل القول في هذا المقصد توفية لتلك المواضيع الكبيرة التي اقتحمها الكاتب حتى يكون كتاب علم يراد منه تحقيق موضوعات كثيرة لا كتاب رد فقط .على أن تمام الرد لا يكون إلا بهذا . فماذا علينا بعد ذلك أن نذكر لك قبل مقارعة الكاتب بعض ما قاله العلماء في أعجاز القرآن بالإيضاح والاختصار وماذا عليك أن توافقنا على ذلك وتغتنم تلك الفوائد التي جاءتك عفواً تعرض نفسها عليك دون أن تعرج على خدرها أو تعنى بأمرها . فمن ذلك ما فاض به القرآن من الاخبار بالمغيبات مثل قوله ﴿ غُلِبَتْ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (١) فكان ما قال. ومثل قوله ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ

(١) سورة الروم الآيتان ٢ ، ٣.

تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [١] فلم يفعلوا. وقوله ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [٢] فهزموا وولوا. وقوله ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ [٣] . فحقق لهم ما وعدهم به إلى آخر ما جاء فيه ومن الأخبار عما في النفوس مثل قوله ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا ﴾ [٤] ومثل قوله ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [٥] إلى غير ذلك . ومن دعوة الناس إلى ما يسعدهم في دينهم ودنياهم وأخذه بيدهم إلى مكارم الاخلاق من كل باب ووضع القوانين العادلة والشرائع الفاضلة التي رفعت الأمة العربية من حضيض المهانة إلى أوج العز والرفعة وجعلتهم ملوكا بعد أن كانوا سوقة لا يعبأ بهم ولا يلفت إليهم فأصبحوا بعد هذه التعاليم النبوية أرفع أمم الأرض على الاطلاق بعد ما كانوا أحطها على الإطلاق وصاروا علماء فضلاء بعد أن كانوا في همجية الحيوانات وتوحش السباع الضاريات. يئدون البنات ولا يدعون شيئا من المنكرات مما لم يتفق مثله في تعاليم حكيم من الحكماء بل ونبي من الأنبياء وقد قال الفيلسوف درابر المسيحي: إن المسيحية مكثت ألف سنة فلم تنجب عالما واحدا وان الإسلام قد أنجب ألوفا عديدة في قليل من السنين ومن الإخبار عما للنفوس الإنسانية على اختلاف طبقاتها من

(١) سورة البقرة الآية ٢٤.
(٢) سورة القمر الآية ٢٤.
(٣) سورة النور الآية ٥٥.
(٤) سورة آل عمران الآية ١٢٢.
(٥) سورة المجادلة الآية ٨.

غرائزها وأحوالها التي تعتورها ووصف ذلك وصف المشاهد المعاين حتى قيل في دفع التعجب من ذلك ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [١] مع كونه ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يسافر في طلب العلوم والمعارف ولا كان يجتمع بالحكماء والعلماء كما هو معروف في تاريخه .

إذ إنه قد نشأ يتيما بين تلك الأمة الجاهلة ولم يكن شأنه التجارة كما كانوا يفعلون حتى يقال إنه كان يختلط بأبناء الأمم الراقية كأمة الفرس والرومان إلى آخر ما عسى أن يقال لأنه لم يكن له من المال ما يمكنه من ذلك، ولا من الرغبة في تحصيل الدنيا ما يحمله على تجشم المصاعب من أجلها . ومن إخباره عن الأمم الماضية والقرون البائدة . مما كان لا يعرفه إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذين لم يكن يتودد إليهم ولا يتردد عليهم. على أنهم كانوا يضنون به على أخص أصدقائهم وقد عيرهم بالتحريف والكتمان بما لا مزيد عليه، ومع هذا فكان يأتي بأخبارهم على وجهها حتى قال ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٢] (أي مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب إلى آخر ما سبق) .

ومن حسن نظمه وغرابة أسلوبه وعذوبة ألفاظه وجزالة كلماته وعلو معناه وبلوغه الغاية القصوى في كل موضوع ذكره مع كون البليغ من العرب إنما كان يجيد موضوعا واحدا وإذا أجاده

(١) سورة الملك الآية ١٤.
(٢) سورة النمل الآية ٧٦.

فإنما يجيد بيتا أو بيتين أو أبياتا معدودة من القصيدة فامرؤ القيس لا يجيد إلا في وصف النساء والخيل والنابغة لا يجيد إلا عند الروع والأعشى لا يجيد إلا عند الطرب وذكر الخمر وزهير لا يجيد إلا عند الرغبة والرجاء وهلم جرا على أن تلك المواضيع التي يذكرها القرآن من توحيد الصانع وتنزيهه ووصفه بصفات الجمال ونعوت الجلال وذكر المبدأ والمعاد والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة والحث على حسن المعاملة وتطهير النفوس من الأدناس وترقية الاحساسات وتنعيم الأرواح بوصف عالمها الأعلى الذي فارقته وهي تشتاق إليه إلى غير ذلك لم يكن مألوفا للعرب أن يتكلموا فيه وقل ما كانوا يجيدون القول في غير وصف عين نجلاء أو غارة عشواء أو طعنة واسعة أو جفنة مترغة كما هو معروف للواقف على أخبارهم وأشعارهم .

﴿ الكلام مع الكاتب فيما رمى به القرآن ﴾

(قال : العاقل المنصف يعلم يقينا أن معظم مواد القرآن وقصصه مأخوذة من اعتقادات بعض اليهود والنصارى) .

لو قارنت بين ما جاء به القرآن وبين عقائد اليهود والنصارى لوجدت بينهما من التباين ما يستحيل معه الاستمداد الذي يدعيه الكاتب فإن اليهود قالوا ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾[1] وقال القرآن ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا

(١) سورة التوبة الآية ٣٠.

وَلَداً ﴾[١] . وقد جاء في التوراة أنهم كانوا في الحرب يضربون الطبول يسمعوا الرب ﷻ ويقول القرآن ﴿ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[٢] ويقولون أن الإله كان يتعب وينام والقرآن يقول﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾[٣] ويقولون كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا والقرآن يقول﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾[٤] ويقولون إن إله العالم هو المسيح ابن مريم والقرآن يقول﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[٥] إلى غير ذلك من التباين في الأصول والفروع فإذاً نقول كما قال ابن القيم (كيف يشبه ديننا دينا أسس بنيانه على عبادة الصلبان والصور المدهونة في السقوف والحيطان وإن رب العالمين نزل عن كرسي عظمته فالتحم ببطن أنثى وأقام هناك مدة من الزمان بين دم الطمث في ظلمات الأحشاء تحت ملتقى الأعكان ثم خرج صبيا رضيعا يشب شيئا فشيئا ويبكي ويأكل ويشرب ويبول وينام ويتقلب مع الصبيان ثم أودع في المكتب بين صبيان اليهود يتعلم ما ينبغي للإنسان ثم جعل اليهود يطردونه ويشردونه من مكان إلى مكان ثم قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذل والهوان فعقدوا على رأسه من الشوك تاجا من

---

(١) سورة الجن الآية ٣.
(٢) سورة آل عمران الآية ٢٩.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٥.
(٤) سورة آل عمران الآية ٨٥.
(٥) سورة المائدة الآية ١٧.

أقبح التيجان ثم ساقوه إلى خشبة الصلب مصفوعا مبصوقا في وجهه وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الإيمان ثم شدت بالحبال يداه والرجلان ثم خالطها تلك المسامير التي تكسر العظم وتمزق اللحم ويستغيث (يا قوم ارحموني فلم يرحمه منهم إنسان) وأما تلك القصص فقد كان يأتي بها ﷺ إرشادا للأمة إلى سنة الله في خلقه وتحذيرا لهم أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقين بشؤم ذنوبهم وتوبيخا لليهود والنصارى وتشنيعا عليهم بما كانوا يفعلونه مع أنبيائهم ودلالة على صدقه لا على كذبه حيث أتى لهم من أخبارهم بما كان لا يعلمه إلا الأفراد من أحبارهم وقد كانوا يضنون بذلك كل الضن حتى يكونوا به علماء دون غيرهم فيبدلوا ما لا يوافق أهواءهم وقد أوسعهم القرآن ذما بالتحريف والتبديل وكتمان ما أنزل الله فأتى ﷺ بذلك الذي كانوا يحرفونه على وجهه المنزل في التوراة والإنجيل مبينا مواضع التحريف منه مبكتا لهم عليه غاية التبكيت مشهودا له من أحبارهم ورهبانهم فكانوا إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .

وانظر إن شئت سورة البقرة وآل عمران والمائدة وغيرها مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا عرف له اجتماع قبل ذلك بأهل الكتاب وقد كان هذا من أقوى الأدلة عند عارفيهم ومنصفيهم فكانوا يؤمنون به مصدقين له فيما يقول من أنهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل وكان ﷺ يكره أن يوافقهم في شيء من الأشياء ولذلك كان يحب ألا تكون قبلته كقبلتهم وقد قال تعالى﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ

قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[١] تعريضا بأنه كان لا يرضى قبلة اليهود وطالما شنع عليهم في عقائدهم وما هم عليه في مثل قوله﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّه ذَلكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[٢] إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة فكيف تكون بعد ذلك عقيدتنا مستمدة من عقائدهم وهي المؤيدة بصريح العقل وواضح البرهان بل كان ﷺ لا يحيلنا على غير الفطرة والوجدان ويقول﴿ فِطْرَةَ اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[٣] ، ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً ﴾[٤] أي مائلا عن الأديان كلها فكيف بعد ذلك يستمد من اليهود والنصارى أما يخشى الكاتب أن نظهر للملأ أن ديانته هي التي أخذت من ديانة المجوس في أصولها كلها وليس ذلك دعوى ندعيها كما يصنع الكاتب بل قرر ذلك كثير من علماء النصارى في كتبهم مثل كتاب (ألن . الهند) وكتاب (أمبرلي . تحليل الإيمان) و (الأديان القديمة) وكتاب (التنقيبات . الأسيوية) و (بيل . تاريخ بوذا) و (بونويك . اعتقاد المصريين) و(دافلس . الوبذيه) و (دافيس . الصينيون) و (بنصون . الملاك المسيح) و (جيبون . تاريخ سقوط المملكة الرومانية) وغيرها فممن قال لا للتثليث قبل النصارى وعبروا بالأقانيم أيضا البراهمة والآلهة الثلاثة عندهم هي برهمة وفشنوا وسيفي وكانوا

(١) سورة البقرة الآية ١٤٤.
(٢) سورة التوبة الآية ٣٠.
(٣) سورة الروم الآية ٣٠.
(٤) سورة الأنعام الآية ٧٩.

يقولون أنه لا فرق بينهما فإن هذا الكائن الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات وقال المستر ماير وكان عند الهنود ثالوث . مؤلف من برهمة وفشنو وسيفي وهكذا نجد عند البوذيين فإنهم يقولون إن بوذا إله ويقولون بالأقانيم الثلاثة .

وكذلك بوظيو جينست يقولون عن جيفا أنه مثلث الأقانيم وقال المستر (فابر) والصينيون يعبدون بوذا ويسمونه (فو) ويقولون إنه ذو ثلاثة أقانيم وقد جاء في الكتب الدينية الصينية أن أصل كل شيء واحد وهذا الواحد الذي هو أصل الوجود اضطر إلى إيجاد ثان والأول والثاني انبثق منهما ثالث ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء وقال العلامة (دوان) (وكان قسيسو هيكل ممفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعليم الدين بقولهم إن الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلق الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس). لا ريب أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالث المقدس (كلمة) هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالديانة المسيحية (ولأبولو) المدفون بدلهي يدعي الكلمة وفي علم اللاهوت الإسكندري الذي كان يعلمه بلاتو قبل المسيح بسنين عديدة (الكلمة) هي الإله الثاني ويدعي أيضا ابن الله البكر . قال العلامة (هيجين) كان الفرس يدعون متورسا (الكلمة) و(الوسيط) و(مخلص الفرس) أنظر كتاب المسيو دونلاب وكتاب العلامة (ينصون) قال العلامة (بونوبك) وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين الوثنيين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة (أن كل شيء صار بواسطتها وأنها منبثقة من الله وأنها الله) وقال العلامة (دوان) أن

تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء على الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم وذكر ما نصه معتقد الهنود (بكرشنا) المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو والذي لا ابتداء له ولا انتهاء له على رأيهم تحرك حُلُنَّواكي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه ويصف الهنود كرشنا بالبطل الوديع المملوء لا هوتا لأنه قدم نفسه ذبيحة ويقولون إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه وممن صلب من آلهة الهنود إلههم (أندراك) قال العلامة (هيجين) نقلا عن كتب أندرادا الكروزويوس وهذا المذكور أول أوروبي دخل بلاد النيتال والتبت . وقال عند تكلمه عن الإله أندرا الذي يعبدونه ويقولون إنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم .

إن صورة الصلب موجودة في كتبهم .

ولنقتصر على هذا فالمقام واسع جدا وندع الحكم للقارئ الكريم الذي رأى أن كل شيء عندهم حتى الألفاظ التي يعبرون بها كالثالوث والمخلص والأقانيم إلى غير ذلك مأخوذ من غيرهم بشهادة علمائهم أنفسهم .

(المقصد الثالث في جمع القرآن)

قد جاء في هذا الفصل روايات كثيرة منها الصحيح ومنها الضعيف ومنها الموضوع بل سترى فيه من الروايات المتعارضة والأحاديث المتناقضة ما تعجب له كل العجب وأن الذي ضر

المسلمين وفتح عليهم باب الطعن للطاعنين إنما هو قبول كل ما يروى وتوجه هممهم إلى كثرة الأخبار وسعة الآثار مع إنه كثيرا ما يدخلها الخلل بكثرة النسيان وكثرة الكذب وتلاعب الأغراض والأهواء وكثرة ما يدس فيها على الصحابة والسلف بطرق غريبة وأعداء الدين لا يعجزهم شيء من استعمال الحيل والطرق الخفية وهم كثيرون وغالب المسلمين غر كريم . ولو كانت وجهتهم العقلية أغلب عليهم من الوجهة النقلية لما وقعوا في تلك العظائم التي يأباها الدين ويتبرأ منها نبي المسلمين ولكنا والحمد لله ميزنا غسها من سمينها وقام منا رجال قد سهروا على حفظ الدين وبينوا للناس ما يجب أن يقبل وما يجب أن يرد وأتوا في نقد الأسانيد والكلام على الرواة بما لا مطمع لا حد بعده في الإيقاع بالإسلام والمسلمين . وإنه وعد نبينا الصادق حيث يقول (لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى يأتي أمر الله)

قال: ولما وقعت حرب اليمامة قتل الكثيرون من حفظة القرآن فخشي عمر أن تحدث حرب أخرى يموت فيها من بقى منهم فذهب إلى أبي بكر واستأذنه في جمع القرآن فرفض أبو بكر قائلا كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله فلم يزل عمر يراجعه ويلح عليه في ذلك حتى أذن له) .

استلفت نظرك إلى هذا الاحتياط والتحري ومقدار تمسكهم بما كان عليه النبي ﷺ حتى إنهم يكرهون أن يفعلوا شيئا لم يفعله ﷺ ولو كان من أعظم الأشياء حتى يقتلوا ذلك الشيء بحثا وتدقيقا حتى

يعلموا أنه لا ينافي سنته ﷺ فكيف يكون بعد ذلك مقدار حرصهم على القرآن واحتفاظهم به وقد كان من ذلك الحرص أن ذهب عمر إلى أبي بكر وألح عليه مخافة أن يضيع من القرآن شيء فانظر أيدك الله إلى شدة اهتمام عمر بكتاب الله وشدة اهتمام أبي بكر بالمحافظة على سنة رسول الله والاقتداء به في كل شيء رضي الله عنهما قال (فأمر زيد بن ثابت أن بحث عن السور ويجمعها فقام زيد بالأمر وجمع الآيات من العسب - جمع عسيب - وهي جريدة النخل) واللخاف (جمع لخفة) وهي (الحجارة الدقاق) والرقاع (جمع رقعة) (وهي من جلد أو ورق أو كاغد) والاكتاف (جمع كتف) وهو (عظم عريض للبعير) ومن صدور الناس) أهـ ولا تتوهم أرشدك الله من كتابته على هذه المذكورات شيئا من الأشياء فإن ظروفهم التي كانوا فيها لا تسمح لهم أن يكتبوا على الأوراق ولا أن تكون أعمالهم على ما تعهد اليوم فإن بلادهم غير بلادك وبيئتهم غير بيئتك وزمنهم غير زمانك فكان ما عملوه هو منتهى الحرص والاهتمام في ذلك الوقت .

(المقصد الرابع في قراءة ابن مسعود)

(قال الكاتب أن من درس رواية ابن مسعود لا يسعه إلا التسليم بما قد طرأ على القرآن من التغيير) .

قد علمت مما سبق أن هذا ليس تغييرا ولا تبديلا وإنما هي قراءات رويت عنه ﷺ آحادا فلم يعرفها الكثير من الصحابة ورواية

الآحاد لا تفيد عند غير راويها خلاف الظن والظن لا يثبت به القرآن لا في أصله ولا في أدائه وأما عند راويها فتفيده القطع فيجوز له أن يقرأ بها لما لديه من اليقين فلا شيء بعد هذا على ابن مسعود ولا غيره .

قال (وقد جاء عن مسلم وغيره حديث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال استقرؤا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل) .

هذا الحديث يدل على أن ابن مسعود كان من أقرأ الصحابة ولسنا ننكر ذلك بل نقول إنه بهذا السبب قد عرف من وجوه القراءات ما لا يعرفه غيره فأنكروه عليه وكان الواجب عليهم ذلك الإنكار لأن القرآن لا يثبت بالظن ولو فرضنا إنهم صدقوه في روايته فيمكن أن يقال أنهم قد رأوا أن يجمعوا الناس على ما هو أشهر منها واثبت نقلا عن رسول الله .

وقد قلنا أن تعلم القراءات كان مباحا لا واجبا على أن أبيا كان من أقرئهم أيضا كما في الحديث وكان أحد الجامعين على ما يفيده كثير من الروايات الصحيحة ومع هذا فقد أحرق مصحفه فيما أحرق اتباعا للمتواتر وتركا لغيره ووقوفا عند ما رآه أكابر الصحابة جميعا وبعدا بالناس عن الفتن وعلما منه أن تلك الوجوه كانت مباحة لراويها فقط وإن الاختصار على القطعي المتواتر أولى وكذلك فعل معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وغيرهما .

(المقصد الخامس)

(في إثبات النسخ عقلا ونقلا والرد على الكاتب في ذلك)

تبجح الكاتب فقال (من التأويل الغريبة التي ذهب إليها بعض المفسرين تبيانا لضياع بعض القرآن قولهم إن ذلك الضياع إنما رفع ولم يحفظ منه إلا ما ثبت) ونحن نقول إن المسلمين لا يقولون إنه رفع ولم يحفظ منه إلا ما ثبت وإنما يقولون إن الله قد أمر بتركه لحكم كثيرة ستعلم بعضها الآن وهو بعد ذلك تارة يذهب من أذهانهم وتارة يكون معروفا لديهم أيضا بل سبق أن بعض الصحابة كان يكتب كثيرا منه في مصحفه فأخلاها عثمان من ذلك المنسوخ وستعلم إنه واقع في الشرائع القديمة بنصوص كتبهم فهي سنة إلهية مستمرة تقتضيها نواميس الرقي وتنقلات الأمم من حالة إلى أخرى وذلك أن الشرائع الإلهية تشتمل على أمرين : الأول أصول العقائد وما يلتحق بها من بيان المبدأ والمعاد . والثاني أحكام عملية فمنها ما يقصد به ترويض النفوس وتهذيبها بضروب العبادات لله تعالى ومنها ما يقصد به تقرير نظام صالح في أنواع المعاملات فيما بين أفراد الناس من بيع وشراء وإجارة وإعارة إلى آخره ويلتحق بذلك مسائل النكاح والطلاق والحدود كحد الزنا واللواط وشرب الخمر إلى غير ذلك ــ أما القسم الأول وهو عقائد التوحيد وبيان ما يجب لله تعالى من تنزيهه عما لا يليق به واتصافه بصفاته العليا واستحالة كل نقص عليه إلى آخره فلا يجوز نسخه بحال من الأحوال بل اتفقت الشرائع كلها في تلك الأصول لأن أدلتها عقلية

وكل ما ثبت بالدليل العقلي فلا يجوز نسخه وكذلك ما يلتحق بها من بيان المبدأ والمعاد بل جميع الأخبار لا يجوز أن يدخلها النسخ .
والقسم الثاني وهو الأحكام العملية منه ما لا ينسخ أيضا كتحريم أخذ مال الغير أو شرب الخمر أو أكل الخنزير مما لا يتغير ضرره بتغير الأزمان ولا تزول مفسدته بتبدل الأحوال ومنها ما يجوز نسخه وإن شئت فقل يتحتم نسخه وهو ما عدا ذلك من العقود والمعاملات مع الله ومع الناس لأن الشرائع جاءت لتخلص الناس من أمراضهم المعنوية وأدوائهم الاجتماعية وتداويهم مما أحاط بهم فيجب إذا أن يراعى في هذا القسم حال الأمة واستعدادها ومقدار ما أحاط بها من العلل والأمراض وما هو أوفق بمزاجها وأنجع في علاجها ــ فمثل صاحب الشريعة جمع الأمة كمثل الطبيب مع المريض يغير له الدواء وما يتعاطاه من الأغذية كلما تقدمت صحته ولو أنه أعطاه من الدواء وأباح له من الغذاء في أول أمره ما يجب أن يعطاه بعد لكان ساعيا في زيادة سقامه وقرب يوم حمامه فكذلك الأنبياء مع الأمم كالأطباء مع المرضى ولا فرق بين الأمراض الحسية والأمراض المعنوية ولا بين الأطباء الروحانيين والأطباء الجسمانيين بل ذلك من السنن الكونية والنواميس الطبيعية التي أدركها واضعوا القوانين الأرضية فتراهم يبدلونها حسب تبدل الأمة ونقلها من حالة إلى حالة ورقيها من درجة إلى درجة ــ وإنك لتعلم أن لأمم الشرق قوانين تناسبها ولأمم الغرب قوانين تناسبها وهي مختلفة أيضا فيما بينها وكل راع أعلم بحال رعيته فيضع لها من القوانين ما يليق بها ولا يسن لها قانون أمة أخرى إلا إذا وصلت

حدها من الرقي والكمال وإذا لم يفعل ذلك كان عن الحكمة بمعزل ومن السفه بمكان ولعلك تعرف هذا حق المعرفة فلا داعي للإسهاب فيه ــ فقل لي بربك ماذا يليق بعد هذا بفعل الله تعالى وهو أحكم الحاكمين ــ هل يشرع للأمة ما يباين درجتها وينافر استعدادها فيكلفهم بما لا يليق بهم إلا بعد كمالهم أم يجب في نظر العقل والحكمة أن يعاملهم معاملة الأب الرحيم بابنه الصغير فيكلفه بما يليق بحال طفولته ثم ينقله بعد إلى ما هو الأثقل والأكمل .

(المقصد السادس في الرد على الكاتب في آية الرجم)

قال ابن عمر (ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله ما يدريه ما كله فقد ذهب منه كثير ولكن ليقل قد أخذت ما ظهر منه) حاش ابن عمر أن يقول بضياع شيء من القرآن بعد ما رأى من توفر الدواعي عليه ومزيد الاعتناء به وشدة الاحتياط فيه ولم ينقل لنا عن أحد من المسلمين ذلك أصلا وإنما هو كلام الشيعة وقد سبق الكلام فيهم . وإنما يريد ابن عمر إنه قد نسخ منه كثير ولا ضرر فيه كما تقدم . قال ما ملخصه إنه يدعي أن القرآن قد ضاع منه جانب عظيم ولكنه لم يستدل على ضياع هذا الجانب العظيم إلا بكلام العلماء في آية الرجم وقد ساق روايات كثيرة وليس فيها إلا أن آية الرجم [١] كانت فيما انزل ثم نسخت ونحن نسلم ذلك من أول الأمر ولا نكلفه عناء ذلك النقل الطويل ولكن أين هذا من

(١) آية الرجم هي (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته) .

ضياعها من القرآن وكأنه فهم من قول بعضهم سقطت إن معناه ضاعت ولم يدر أن مراده إنها نسخت كما هو واضح جدا من تلك الروايات التي ساقها وقد علمت إن النسخ جائز عقلا ونقلا وواقع عندنا وعندهم فلا معنى للتفيهق بعد .

قال (وقال عمر لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها يعني آية الرجم) .

أن هذه الرواية غريبة جدا فإنه كيف يترك عمر آية من كتاب الله تعالى مخافة قول الناس وهو الذي لا يخاف في الله لومة لائم . وهو الذي يقول لم يدع قول الحق لعمر من صديق وهو الملقب بالفاروق ــ وصاحب الفضل في أقواله عمر ــ وهو الذي أكمل الحد على ابنه بعد أن مات فكيف يخاف ملامة الناس بعد ذلك حتى في كتاب الله اللهم إن ذلك لا يقوله أحد .

(تكميل جليل)

رأينا أن نختم هذا الرد بشذرات في محاسن الدين الإسلامي نقلا عن كتابنا سبيل السعادة ثم نتبعها بنقل بعض ما قاله فلاسفة أوربا في هذا الموضوع . والفضل ما شهدت به الأعداء ، ثم نقص عليك بعد ذلك من نبأ التناقض والتحريف في كتبهم عجبا . ثم نورد عليهم أسئلة لا يستطيعون لها جوابا . ولو لبثوا أحقابا .

وبهذا نكون قد ألمحنا إلى تفاصيل عرض كتاب " الجواب المنيف "

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

وأهم النتائج

وفي ختام تلك الرحلة العلمية مع علم من أعلام الأزهر المبرزين العاملين المجاهدين نستطيع أن نلمح بعض الأمور التي وقفنا عليها ..

١ ــ كان الشيخ من رحمات الله تعالى بالعالم الإسلامي فقد تنوعت ثقافته ومعارفه وكان مفتي الإسلام في وقته دون جدال .

٢ ــ مما ميزّ تفسير الشيخ الدجوي أنه يعرج بقوة إلى الحقائق العلمية والإعجاز الكوني للقرآن في وقت لم يكن انتشر فيه هذا اللون ــ برغم وجوده – ولو قليلاً – في كتابات بعض المفسرين الأقدمين .

٣ ــ يعمد الشيخ في تفسيره إلى إلقاء الضوء على المعاني الدعوية والوعظية والروحية وهذا ما يتوافق ومنحاه الصوفي الجميل .

٤ ــ كان للشيخ إضافات في باب التفسير كما في تفسيره لقوله تعالى " لا يسأل عما يفعل " بغير ما قاله المفسرون .

٥ ــ والشيخ كغيره من العلماء ــ قدامى ومحدثين ــ كان بينه وبين العلماء نزاع وخصام وجدال ، يذكرنا بما رواه ابن عبدالبر في كتابه جامع بيان العلم وفضله عن ابن عباس أنه قال

"استمعوا علم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم اشد تغايرا من التيوس في زروبها " .

٦ ــ وأخيراً فإن هذا البحث يلقي الضوء ويدعو الباحثين إلى إبراز سير وجهود العلماء العاملين ليكونوا قدوة توصلنا إلى السير على خطى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين سبحانك ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم : تنزيل من رب العالمين .

١ ــ الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف للشيخ يوسف الدجوي ط مطبعة النهضة الأدبية بمصر ١٣٣١هـ ــ ١٩١٣م .

٢ ــ شيوخ الأزهر والزيادة على الإسلام تأليف عبد الله بن علي النجدي القصيمي ط أولى مطبعة المنار بمصر ١٣٥١ هـ .

٣ ــ رسائل السلام ورسل الإسلام للشيخ يوسف الدجوي ط دار الفرجاني بالقاهرة .

٤ ــ رسالة في تفسير قوله تعالى " لا يسأل عما يفعل " بغير ما قاله المفسرون ط مطبعة النهضة الأدبية ١٣٣٣هـ ــ ١٩١٥م.

٥ ــ صواعق من نار في الرد على صاحب المنار للشيخ يوسف الدجوي الناشر عبد الرافع الدجوي .

٦ ــ الغيث المروي في ترجمة الأستاذ الإمام الدجوى تأليف عبد الرافع الدجوى ط مطبعة اللواء بمصر ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦م.

٧ ــ مختارات من تفسير جواهر التنزيل " للشيخ يوسف الدجوي مستمليها وجامعها عبد الرافع الدجوي ط أولى مطبعة الأنوار بالقاهرة د . ت .

٨ ــ مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي : أربعة أجزاء في مجلدين ط مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ــ مصر ١٤٠٢ هـ ــ١٩٨٢م .

٩ ــ منهج الألوسى في روح المعاني للأستاذ محمود السعيد طنطاوي ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ــ سلسلة "دراسات في الإسلام" ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩ م .

١٠ ــ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ــ الجزء الخامس تأليف د/ محمد رجب البيومي ط مجمع البحوث الإسلامية بمصر ــ السنة الثامنة عشرة الكتاب الثالث ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٧م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ـ مقدمة	٣
ـ الفصل الأول : حياة الشيخ الدجوي وآثاره	٥
ـ الفصل الثاني : الشيخ الدجوي مفسراً	٢٥
المبحث الأول : منهج الشيخ الدجوي في التفسير	٢٧
المبحث الثاني : الجوانب الإبداعية في تفسيره	٥٠
المبحث الثالث : معاركه الفكرية	٨٦
ـ صاحب المنار وآدم عليه السلام	٨٧
ـ سبب تأليف الجواب المنيف	٩٨
عناوين المقاصد والشبهة الأولى من كل مقصد والرد عليها	١٠١
ـ المقصد الثاني في الرد على الكاتب	١٠٣
ـ الكلام مع الكاتب فيما رمى به القرآن	١٠٦
ـ المقصد الثالث في جمع القرآن	١١١
ـ المقصد الرابع في قراءة ابن مسعود	١١٣
ـ المقصد الخامس : في إثبات النسخ عقلا ونقلا والرد على الكاتب في ذلك	١١٤
ـ المقصد السادس في الرد على الكاتب في آية الرجم	١١٧
ـ تكميل جليل	١١٨

ـ ملحق ويتضمن عرض عام لكتاب " الجواب المنيف "	١١٩
ـ الخاتمة وأهم النتائج	١٢٣
ـ المصادر والمراجع	١٢٥
ـ فهرس الموضوعات	١٢٧

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٦٩٣٥ / ٢٠٠٥
بتاريخ : ١١ / ٩ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي
977 – 297 – 257 – 0